اعرف فنزويلا
عن طريق
شخصياتها البارزة



تأليف
سامي عبيد

بانوراما كاملة
للحياة الثقافيّة والتاريخيّة في فنزويلا
مع نماذج فذّة لأبرز الشخصيات

بسم الله الرحمن الرحيم

إهــــداء . .

إلـــى روح والـــدي : الشـــاعـــر

عبـــــــد الحميـــــــد عبيـــــــد ،

وقـــد كـــان لـــي أبـــاً وصـــديقـــاً ،

كمـــا علّمنـــي أن أكتـــب بلغـــة

عـــربيـــة صـحيحـــة فصيحـــة ،

سلام على روحه وتحية لذكراه . .

ســـامي

Conozca Venezuela
A TRAVES DE SUS PERSONAJES ILUSTRES



Por

Sammy Ebed

**Un panorama completo
de la vida cultural e histórica
en Venezuela, con muestras
brillantes de sus personajes
(más ilustres)**



نبذة عن المؤلف

سامي عبد الحميد عبيد:

ـ ڤنزويلي من أصل مصري .

ـ ليسانس آداب جامعة الاسكندرية .

ـ دراسات في الأدب الإنجليزي من جامعة كامبريدج إنجلترا .

ـ دبلوم في اللغة الألمانية من المدرسة العليا بدرتموند بألمانيا .

أهم الأعمال التي قام بها:

ـ مترجم لغة إنجليزية وألمانية بوزارة التربية والتعليم المصرية عام ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢ .

ـ مدرّس لغة عربية بمدرسة برليتز بلندن .

ـ مدير البرنامج العربـي الموجّه لدول الأوبك بالإذاعة الوطنية الڤنزويلية عام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٩م .

ـ مدرّس لغة إنجليزية بقسم الماجستير بكلية الطب بالجامعة المركزية الڤنزويلية .

ـ مؤلف كتاب الجالية العربية في ڤنزويلا حقائق وشخصيات.

ـ مؤلف كتاب: ڤنزويلا، ملامح ثقافية وتاريخية.

ـ مؤلف كتاب: ڤنزويلا، بترول وثقافة.

ـ مترجم كتاب «بوليڤار محرّر أمريكا اللاتينية» لمؤلفه خوزيه لويس سالسيدو باستاردو وزير الثقافة الڤنزويلي السابق.

ـ محرّر سابق بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

أوسمة من الحكومة الڤنزويلية:

١ ـ حاصل على وسام فرانسسكو دي ميراندا من الدرجة الثانية عام ١٩٨٨م.

٢ ـ وسام أندريز بيّو من الدرجة الأولى «وشاح الشرف» عام ١٩٩٤م.

٣ ـ وسام المحرّر بدرجة ضابط عظيم. أبريل ١٩٩٧م.

Orden del Libertador Grado de Gran Oficial, April 1997.

● ● ●

مقدمة الطبعة الأولى

صديقي القارىء: في الصفحات التالية نحب أن نقدم لك وجهاً آخر لفنزويلا يخالف وجهها البترولي المعروف، وذلك من خلال ساستها وفنانيها الذين اقتحموا مجال العالمية عن جدارة واستحقاق.

فليست فنزويلا هي بلد البترول فحسب كما قد يتوهم بعض المتوهمين، ولكنها بالإضافة لثروتها البترولية، فإنَّ لديها كنوزها البشرية من أبنائها البارزين، المتألِّقين في العلم والفن والسياسة، وفي هذا الكتاب: سأتعرض لهؤلاء جميعاً في إيجاز واضح، من شأنه تقديم الصورة ناصعة في جلاء تام، متجنِّباً الإغراق في تفاصيل أو مبالغات.

هذا وقد اتبعت في عرض الشخصيات منهجاً استقرائياً، يتم من خلاله اختيار النماذج الفذّة التي تعطي المثل الواضح لفئة بأكملها.

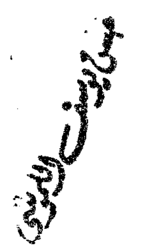
فلنتقدم معاً: صديقي القارىء يداً في يد: نجوب صفحات الكتاب كي نكتشف خلال رحلتنا عِبْرة الحجم الحقيقي لفنزويلا بكتّابها وقادتها وفنانيها.

وهدفنا **أولاً وأخيراً**: أنّ نُحقِّق رؤية جديدة صادقة لفنزويلا خارج صورتها البترولية المألوفة والمعروفة.

والله المستعان على تحقيق هذه الغاية المنشودة.

كراكاس - فبراير - ١٩٩٨

سامي عبيد



لمحة عامة عن فنزويلا:
سياسياً وجغرافياً واقتصادياً وسياحياً

الموقع والمساحة: تقع الجمهورية الفنزويلية في شمال أمريكا الجنوبية، يحدّها من الشمال: البحر الكاريبي، ومن الجنوب البرازيل، ومن الغرب كولومبيا، ومن الشرق جويانا.

وتبلغ مساحتها: ٩١٢٠٥٠: تسعمائة واثنتي عشر ألفاً وخمسون كيلومتراً مربعاً.

محافظاتها: تتكون فنزويلا من عشرين محافظة، وقطاع اتّحادي يشمل العاصمة كراكاس، وقطاعين اتحاديين آخرين، هذا بالإضافة إلى اثنتي وسبعين جزيرة.

كما يصل عدد سكّانها حسب الإحصاء الأخير حوالي عشرين مليوناً.

والشعب الفنزويلي: خليط من الأبيض والزنجي والهندي وقد امتزجت الأجناس الثلاثة عن طريق التزاوج، وقد أعطى هذا للفنزويلي هذه الملامح التي تبدو أحياناً أوروبية، وأحياناً أخرى إفريقية أو هنديّة.

ولعلَّ هذا ما أعطي الفنزويلي طبيعة التسامح مع الأجناس الأخرى، كما خصَّه بروح مضيافة ترحب بالمهاجر الأجنبي

دونْ النظر إلى جنسه أو لونه أو عقيدته.

اللغة والدين: اللُّغة الأسبانية هي لغة الدولة الرسمية، كما يدين حوالي تسعين في المائة من الشعب الفنزويلي بالمسيحيّة الكاثوليكية. إلاَّ أن هناك حرية في ممارسة الشعائر الدينية لأصحاب العقائد الأخرى.

نظام الحكم: يعتبر نظام الحكم في فنزويلا واحداً من أكثر أنظمة الحكم ديموقراطية في أمريكا اللاتينية، ويتم انتخاب رئيس الجمهورية كل خمس سنوات عن طريق انتخابات عامة مباشرة.

ويباشر الرئيس سلطاته التنفيذية يساعده في هذا مجلس الوزراء، وليس هناك رئيس وزراء، وفي هذا فإنَّ فنزويلا تشبه الولايات المتحدة الأمريكية في نظامها الرئاسي، هذا ويتكون الجهاز التشريعي من الكونجرس الوطني: وهذا يتكوّن من مجلس النوّاب الذي يبلغ أعضاؤه مائة وتسعين عضواً، وكذا من مجلس الشيوخ الذي يتكوَّن من: تسعة وأربعين عضواً، ويتم انتخاب أعضاء المجلسين كل خمس سنوات، حيث يتمّ ترشيحهم عن طريق الأحزاب السياسيّة.

من ناحية أخرى: فإنَّ رئيس الجمهورية المُنتخب لا يَحقّ له ترشيح نفسه مَرَّة أخرى إلاَّ بعد مرور عشر سنوات من انتهاء فترة رئاسته الأولى، وإذا نجح في انتخابات الرئاسة للمرة الثانية، فإنَّه لا يحق له ترشيح نفسه مرة ثالثة: وجدير بالذكر أن رؤساء الجمهورية السابقين يتحولون بعد انتهاء فترة رئاستهم

تلقائياً إلى أعضاء في مجلس الشيوخ مدى الحياة.

* * *

هذا وتتولى السلطة القضائية: محكمة العدل العليا.

الحرية السياسية في فنزويلا: ممارسة الانتماء السياسي في فنزويلا يشكّل أحد مظاهر الحياة الديموقراطية الصحية الصحيحة، وذلك في مناخ ديموقراطي رحب يسمح بالانتماء الأيديولوجي الحر.

الأحزاب السياسية: يمكن حصرها في أربعة أحزاب رئيسية: هي على التوالي:

- **حزب العمل الديموقراطي (A.D)**: ويتبع الأيدلوجية الاشتراكية الديموقراطية، وبمرور الوقت: اتَّصل مع الأحزاب الكبرى في العالم مثل الاشتراكيين الألمان، وحزب العمال الأسباني، والحزب الاشتراكي السويدي، كما حافظ الحزب دائماً على أساسه الاشتراكي الديموقراطي، وكذا العمل على توافق برامجه ودستوره مع الحقيقة الفنزويلية الجديدة، ومتطلبات التنمية القوميّة.

- **الحزب الاجتماعي المسيحي (COPEI)**: وهو من الأحزاب الهامة في فنزويلا. وأسَّسه: دكتور: رفائيل كالديرا الذي أصبح رئيس لجمهورية فنزويلا عام ١٩٦٩م، ويستعد حالياً لترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية للمرّة الثانية.

والحزب الاجتماعي المسيحي: يدعو إلى تطبيق الجانب

الاجتماعي من المسيحية، وذلك انطلاقاً من المفاهيم الإنسانية للدين المسيحي الكاثوليكي المنبثق عن الفاتيكان.

٣ ــ **حزب الحركة الاشتراكية (MAS)**: وهو الحزب الشيوعي الفنزويلي القديم، إلاَّ أنَّه في عام ١٩٧٠م حدث انشقاق داخل الحزب، وذلك بعد غزو السوفييت لتشيكوسلوفاكيا، وكان من نتائج هذا: أَنْ فكَّرت قيادة الحزب: في تكوين أيدلوجية جديدة: ترتكز أساساً على الاشتراكية الديموقراطية، وتتحرك في إطار: يُعطي اهتماماً أكبر للمصالح الوطنية الفنزويلية، ومن هنا كان تأسيس الحزب الجديد الحركة الاشتراكية بمفهوم جديد في ١٨ يناير عام ١٩٧١م، ومؤسِّسوا الحزب: يتودورو بتكوف وبومبيّو ماركيز والأخير من «أصل لبناني».

٤ ــ **حزب الجيل الجديد (Nueva Generacion)**: ومؤسسه: فلاديمير هيسن «وهو من أصل لبناني»، وهو حزب لبرالي يدين باللبراليّة.

٥ ــ حزب الهدف الرئيسي، المعروف باسم (CausaR)، وهو حزب يساري، ومؤسسه زعيم نقابي عمالي من محافظة بوليڤار، هو: أندريز فلاسكيز Andréz Velasquez)، وهو حالياً محافظ محافظة بوليڤار، كما أنه مرشح لرئاسة الجمهورية التي تجري انتخاباتها في ديسمبر لهذا العام. وقد استطاع الحزب أن يكسب شعبية كبيرة، وهو حالياً يحتل الموقع الثالث بعد حزب العمل الديموقراطي والحزب الاجتماعي المسيحي.. وهذا يعني أنه

استطاع أن يزحزح حزب الجيل الجديد عن الموقع الثالث؛ حيث تقهقر هذا الأخير إلى الموقع الرابع.

الاقتصاد

الإنتاج المعدني:

(أ) فنزويلا هي أكبر دولة منتجة للبترول في أمريكا اللاتينية، هذا فضلاً عن أنها عضو مؤسس في مُنظمة الدول المُصدّرة للبترول «أوبك»، ومَع أنَّ البترول يُعتبر عصب الحياة الاقتصادية بفنزويلا: إلاَّ أنَّ هناك معادن أخرى: مثل الفحم، الحديد، الألمونيوم، الماس، الذَّهب، النّحاس، الزِّنك واليُورانيوم، تُشكل مصادره الدخل الفنزويلي من العملات الصعبة.

(ب) الزراعة: الحق أنَّ تنوع المناخ في فنزويلا ترتب عليه تنوع الإنتاج الزراعي: الذي يشمل: القطن، الأرز، القمح، الذُّرة، البطاطِس، البصل، الفول، الشوفان، السّمسم، الأناناس والبابايا والبن والكاكاو، بالإضافة إلى الفواكه المعروفة مثل: المانجو، النسبرو، كمثرى التمساح المعروفة باسم «أجواكاتي».

ومع الزراعة تزدهر: تربية الماشية والنعاج والخنازير.

* * *

السّياحة

الشواطىء الفنزويلية: تتمتَّع فنزويلا بسواحل جميلة يمتدّ طولها حوالي: ألف وثمانمائة كيلومتراً: وبهذه السواحل توجد المصايف الممتازة التي تمتلىء بالرِّمال الناعمة، وأشجار جوز الهند، هذا بالإضافة إلى المطاعم المعتدلة الأسعار التي تمتد على طول الساحل، وتُقدِّم لروّادها أسماك البحر الكاريبي الشهيّة، فضلاً عن الوجبات الوطنيّة مثل (الأَرِبّا Arepa): وهي عبارة عن رغيف صغير مستدير يُصنع من دقيق الذّرة، ويتفنَّن الفنزويليّون في حشوه: تارةً باللّحم المفروم، أَوْ الجبن أو الدَّجاج المشوي أو التونة. . . إلخ.

وكثيرٌ من السُّياح يُعجبهم مذاق الأَرِبّا مصحوبة بالقهوة الفنزويلية ذات المذاق المنعش.

أماكن سياحية أخرى: يوجد أيضاً بفنزويلا جمال آخر يختلف في نَوعيّته عما هو معروف ومألوف بأماكن أخرى وأعني بهذا: **مظاهر الحياة النباتية والحيوانية**: ولا سيّما في الغابات: وخاصّة في منطقة جوايانا: الواقعة في الجنوب الشرقي لفنزويلا، هذا بالإضافة إلى غابات الأمازون التي تُعتبر رئة العالم، والتي تحتوي على أبدع وأغرب الحيوانات على ظهر الكرة الأرضية، بحيث تُعتبر وبحقّ أكبر حديقةِ حيوانات طبيعية في العالم.

يُوْجد أيضاً في منطقة الأنديز (Los Andes) الفنزويلية في مدينة ميريدا (Merida) جبال تُغطي قممها الثلوج طول العام،

ويمكن الوصول إلى أعلى قمّة بها عن طريق التليفريك، حيث يستمتع السائح بمنظر الثلج البديع صيفاً وشتاءً.

بقي أن أذكر: أنّه يوجد بمنطقة كنيما (Canaima) الفنزويلية: أعلى شلاّل في العالم ويُدعى (سالتو أنهيل) (Salto Angel)، وهو مع المناظر الطبيعيّة الرائعة التي تحيط به يُمثّل مركز جذب سياحي هام.

الجاليات الأجنبية في فنزويلا: يزداد عدد الجاليات الأجنبيّة بفنزويلا بسبب تشجيع الهجرة والمهاجرين، وأغلبهم من الأسبان، الإيطاليين، البرتغاليين، أمريكا اللاتينية والعرب.

والجالية العربية وفيرة العدد: ويبلغ عددها حوالي خمسمائة ألف، ويشمل هذا الجيل الأول والثاني، ويتكوّن غالبيتها من السوريّين ومعظمهم من حلب، يليهم في العدد أفراد الجالية اللبنانية ثم الفلسطينيون، وقليلٌ جداً من المصريّين.

والكثير من أعضاء الجالية: يمارسون تجارة المصنوعات الجلديّة والملابس، كما يمتلك بعضهم المطاعم التي تقدّم الوجبات العربية الشهية، وكذا الحلوى التي تشتهر بها سوريا ولبنان. ويمكن ملاحظة نشاط الجالية العربيّة بوضوح أكثر في جزيرة مرجريتا الفنزويلية، حيث يتكون أغلب تُجارها من العرب، وكذا في بورنو لاكروس وماتورين ومراكيبو وباركسميتو.

وجدير بالذكر: أنّه يوجد بالعاصمة كراكاس مركز إسلامي مُلحق به مسجد، ومدرسة لتعليم اللغة العربية لأبناء الجالية، كما توجد كنيسة للجالية السورية، وأخرى للجالية اللبنانية.

نبــذة عــن
حركات الاستقلال في فنزويلا

نبذة عن:

حركات الاستقلال في فنزويلا

الحق أن حركات الاستقلال عن إسبانيا قد بدأت في فنزويلا منذ فترة مبكِّرة، إلاَّ أنه يمكن القول بأن هذه الحركات لم تتبلور في صورة واضحة حتى ظهر: فرانسيسكو دي ميراندا المولود في عام ١٧٥٠م، والذي كان في الواقع يمثل مفتاح الحركات القومية في أمريكا اللاتينية، كما كان يحظى باحترام القوى الدولية آنذاك، وهو امتياز تفرَّد به. وكان يتجمع حول ميراندا رجال من مختلف أرجاء القارتين الأميركتين، لا يوحِّد بينهم إلاَّ الالتفاف حول مبدأ تحرير أمريكا. ومن بين هؤلاء كان يوجد أوهجنز بطل تحرير شيلي الذي قال عن ميراندا في عام ١٨٢٨م (إني أدين لميراند بالفكرة التي وضعتني على طريق الثورة لتحرير بلدي). وكان من بين هؤلاء أيضاً سيمون بوليفار محرر خمس دول في أمريكا الجنوبية، وأيضاً خوسية سان مارتين بطل تحرير الأرجنتين، كل هؤلاء كانوا أعضاءاً في (التجمع الأمريكي الكبير) الذي أنشأه ميراندا وكان مقرّه في لندن.

ومن الطريف والهام أن هذا الاتحاد كانت له فروع في المكسيك وفنزويلا وجواتيمالا والبرازيل والأرجنتين. بعبارة

أخرى كانت فروعه تغطى كافة أرجاء أمريكا اللاتينية. ولعل هذا يوضح أهمية ميراندا ودوره الكبير في الإعداد لتحرير أمريكا اللاتينية. وفي الصفحات التالية: سأتحدَّث عن ميراندا وبوليفر وسوكري، والثلاثة فنزويليون كانت لهم أدوار حاسمة في إنهاء الاحتلال الإسباني لأمريكا الجنوبية يذكرها التاريخ بحروف من نور.

* * *

فرانسيسكو دي ميراندا Francisco de Miranda
رائد الحرية في أمريكا اللاتينية

الحق أن حياة الفنزويلي العالمي بنهايتها الفاجعة تشبه إلى حد كبير إحدى مسرحيات سوفوكليس، فهي حياة مليئة بالأحداث المثيرة تنتهي نهاية فاجعة مأساويّة، إلاَّ أنها تفيض بالأمجاد والبطولات، بحيث تعطي المثال والنموذج لشخصية المواطن العالمي. ميراندا اعتبر أمريكا اللاتينية وطناً له، وكانت مجهوداته المكثفة لتحرير بلده فنزويلا، كان هذا في الواقع جزءاً من مخطّط عام هو تحرير أمريكا اللاتينية. كان هذا هو شغله وقلقه الدائم. وكانت صداقاته وعلاقاته الكثيرة على مستوى كافة دول أوروبا تفتح له القلوب والأبواب المغلقة، كما كانت تستقبله بالاهتمام والتقدير أوساط المثقفين في هذه الدول، فهو فضلاً عن كونه قائداً عسكرياً محنكاً، كان أيضاً نموذجاً للمثقف الذي ينهل من منابع المعرفة أينما وجدها، فهو قارىء متعمق للآداب الإغريقية والفرنسية والإيطالية والإنجليزية والإسبانية،

يقرأ في هذه اللغات المختلفة التي أجادها وأحسن أجادتها قراءةً وكتابةً، كما كانت وسليته لفتح خزائن كنوز المعرفة من أدب وسياسة وموسيقى وفن.

وبعد ففي هذه اللمحة الخاطفة عن حياة ميراندا نحب أن نبدأ الحكاية من البداية حتى نعطي القارىء الصورة المضيئة واللوحة المرسومة لحياة رجل كان ملء الإسماع والأبصار والقلوب على مدى أربعين عاماً، كما كان اسمه يثير الاحترام والإعجاب في كافة دول أوروبا كصورة فريدة للمكافح من أجل الحرية، لا يهمه في هذا أن يكون الموقع الذي يحارب فيه، فهو يكافح من أجل العدالة وحسب. وساحة المعركة بالنسبة له قد تكون فرنسا أو الولايات المتّحدة الأميركية أو أي بلد في العالم، ما دام الهدف في النهاية هو مناصرة حركات التحرير ودفع الظلم عن الإنسان. فهوم عجيب وواسع للحرية، يسبق زمانه وينبع من فلسفة مثالية هي ولا شك ثمرة قراءاته الطويلة في الأدب اليوناني وكذا في السياسة والاجتماع.

ميراندا تمثّل ما قرأ، وأحسن تمثّله وكوّن لنفسه أفكاره الخاصة وآراءه عن الحرية، ولهذا فليس غريباً أن تربطه صداقة وثيقة بالفلاسفة الإنجليز من أمثال بنثام، وتوماس بين، وكلاهما كان يُعجب به ويحترمه. نعود مرة أخرى لنبدأ الحكاية من البداية.

مولده وتعليمه:

وُلد فرانسيسكو دي ميراندا في ٢٨ مارس ١٧٥٠م في

كاراكاس عاصمة فنزويلا، وكان والده سباستيان دي ميراندا يتميّز بالشجاعة ونبل الأخلاق، وهي صفات تعمقت ملامحها في بطلنا الذي عرف أشهر شخصيّات عصره، والفنزويلي العالمي الذي حارب في كافة جبهات التحرير في العالم، كان نجماً في حرب استقلال الولايات المتحدة الأمريكية، كما كان أحد أبطال معارك الثورة الفرنسية وتمجيداً لانتصاراته سُجِّل اسمه على قوس النصر في باريس بين أبطال الثورة الفرنسية.

إعداده الثقافي:

كان ميراندا، باعتباره أحد أبناء الأثرياء، له أبرز المعلمين الذين أشربوه حب المعرفة، وقد التحق بالجامعة الملكية حيث درس الفلسفة والقانون والتاريخ، وهو لهذا كان يكرِّر دائماً دَيْنَه للجامعة لما أعطته من علم ومعرفة.

نشاطه السياسي والعسكري:

عند بلوغه الواحد ولعشرين سافر إلى مدريد كي يلتحق بالجيش الإسباني برتبة كابتن، ومن هناك أرسل في مهمّه إلى أفريقيا، ثم أرسل بعد ذلك إلى هافانا حيث كانت إسبانيا مشتركة في حرب ضد إنجلترا، ونظراً لشجاعة ميراندا في هذه الحرب تم ترقيته إلى رتبة عميد.

وفي عام ١٧٨٣م سافر ميراندا إلى الولايات المتحدة الأميركية حيث كانت تجري حرب الاستقلال على أشدها، والحق أن صداقات ميراندا الوطيدة مع الساسة والقوّاد في الولايات المتحدة قد أعطت البذور لفكرة تحرير فنزويلا.

والمسافر الدائم يغادر الولايات المتحدة الأمريكية حيث يجري اتصالاته أيضاً في العاصمة البريطانية لتهيئة الجوّ لاستقلال أمريكا اللاتينية، وتصل أخبار محاولاته هذه إلى الحكومة الإسبانية ولا يعجبها هذا بالطبع، فتطلب من الحكومة الإنجليزية رسمياً أن تسلمها ميراندا حتى تلقى به في السجون الإسبانية. وتتجاهل الحكومة الإنجليزية طلب إسبانيا. وتستقبل الصحافة الإنجليزية البطل الفنزويلي بالترحاب، مشيرة إليه باعتباره الرجل الذي سيقوم بتحرير أمريكا اللاتينية، تتحدث عنه بإعجاب لكونه المثقّف الذي يتحدّث اللغات القديمة والحديثة. وهو باالإضافة لهذا يتمتّع بجاذبية شخصية تشد إليه دوائر المثقفين وأصحاب النفوذ في أوروبا وأمريكا. فقد كان صاحبنا يتمتع بحسن المظهر وجمال الشخصية، أعني أنه كان يجتمع فيه المظهر الجسمي والعقلي الجذاب، ولا شك أن هذه الجاذبية قد صيغ بعض منها خلال رحلاته الكثيرة وجولاته الطويلة في دول العالم، يلاحظ ويشاهد ويسمع، يدفعه في هذا فضول المثقف الذي يتفتح عقله وقلبه لكل جديد، عين متفحصه ترى وتجعل ما ترى مادة للتأمّل والبحث، ثم التمثل والهضم، وكان نتاج هذا شخصيته الفريدة في نوعها.

ميراندا في لندن:

لا شك أن إقامته في العاصمة الإنجليزية قد أتاحت له إجراء اتصالات هامة مع أصحاب النفوذ السياسي والاجتماعي في لندن.

ويطوف بطلنا بالعواصم الأوروبية وذلك في إطار تعميق

خبراته الثقافية والسياسية ماراً بلاهاي وأمستردام، ويلتقي خلال جولاته هذه بكثير من الساسة والقوّاد من أثمال لافاييت، ويوثِّق صداقات مع أصحاب الرأي والنفوذ في هذه العواصم، ومن هذه الصداقات صداقة ميراندا مع الموسيقى النمساوي الذائع الصيت يوسف هايدن، لم يكن فضوله المعرفي يتوقّف عند حد، وهذا التعطش للمعرفة قادة للتجوال في إيطاليا يتأمل لوحات فنانيها الكبار دارساً متأمِّلاً، جاب خرائب روما القديمة، ودفعته هذه الرغبة الدائمة في الترحال للسفر إلى اليونان وتركيا، وهو لهذا يستأهل عن جدارة واستحقاق لقب المواطن العالمي.

وخلال رحلاته الكثيرة في أوروبا زار روسيا والتقى مع صفوة المجتمع الروسي، وكان منهم موضع الحفاوة والتقدير، إلاَّ أن أهم من هذا تقديمه إلى كاترينا قيصرة روسيا آنذاك، ولم تُخف القيصرة إعجابها الفائق بالفنزويلي المثقف والعسكري الممتاز. وانعقدت بين الاثنين روابط صداقة متينة كان من ثمراتها أن منحته القيصرة لقب عميد وذلك مع الراتب المستتبع لذلك وتمّ إبلاغ السفارات الروسية في كافة أنحاء العالم بذلك.

ميراندا في لندن مرة أخرى:

أثناء إقامته بلندن يلتقي برئيس وزرائها وليام بت (William Pitt)، ولا يظفر من هذه المقابلة بنتيجة مرضية، وأثناء ذلك تتزايد مجهودات الحكومة الإسبانية للقبض عليه، وكي ينقذ نفسه من أمر القبض، يعلن بأنه أحد أفراد السفارة الروسية وهو في هذا لا يتجاوز الواقع، فقد منحته كاترينا، قيصرة روسيا، لقب عميد بالجيش الروسي، وقد خوّله هذا أن

يحمل جواز سفر روسي، فهو إذن لم يتجاوز االامتياز الذي أعطته له صديقته قيصره روسيا، وفي ضوء هذا تخطر السفارة الروسية بلندن وزارة الخارجية الإنجليزية بذلك. وأثناء وجوده في العاصمة البريطانية يرتبط بصداقة حميمة مع الفيلسوف الإنجليزي الشهير جارمي بنثام، وهي صداقة جعلت الفيلسوف الإنجليزي في إطار محبته لصديقه الفنزويلي يؤلِّف بحثاً عن تحرير فنزويلا. أيضاً يلتقي بكاتب شهير هو توماس بين، المعروف بتحمُّسه للدفاع عن أمريكا، وهؤلاء الأصدقاء وغيرهم أعطوه خطابات توصية قبل سفره لفرنسا مِمّا مهَّد له الطريق إلى المجد والشهرة.

ميراندا في باريس:

يصل بطلنا باريس في مارس عام ١٧٩٢م وتفتح له السفارة الروسية أبواب التعرف على ذوي النفوذ المالي والسياسي. وفي باريس عاصمة الثورة يلتقي بأصدقاء جدد من بينهم الثوري الشهير دانتون، كما يلتقي بديمورييه وغيرهم، والجميع يعجب به باعتباره رجلاً مثقّفاً ذا خبرة عسكرية، وتندلع نيران الثورة الفرنسية، ويهاجم الثوّار قصر التويلري، ويعتقل الملك لويس السادس عشر وتتشكل الحكومة الجديدة من الثوّار، ونجد من بينهم أصدقاء ميراندا، فدانتون عين وزيراً للعدل. ويطلب منه أصدقاؤه الثوار الانضمام إلى جيش الثورة ويتم تعيينه مارشالا بالإجماع، ويتلقى الأوامر من الثوار للانضمام لجيش الشمال تحت قيادة صديقه ديمورييه، ويقع على كاهل الفنزويلي العظيم عبء مواجهة القوات البروسية

حيث ينتصر عليها انتصاراً حاسماً، وهذا يمثّل صفحة مجيدة في تاريخ ميراندا، وعقب هذه الانتصارات يرقّى إلى منصب نائب القائد كما تشتد ثقة أعضاء الثورة به، ويتم تعيينه قائداً للجيش المهاجم لبلجيكا، وخلال قيادته تُوقَّع وثيقة استسلام العاصمة البلجيكية عقب انتصار قواته، ولهذا النجاح المظفر يشتد حسد القواد الفرنسيين له، فينقلب عليه أيضاً صديقه ديمورييه، ويصل الأمر إلى القبض عليه وإيداعه أحد سجون باريس، ثم يطلق سراحه بعد عام وذلك عقب سقوط روبسبيير (Robespierre)، أحد عتاة الثورة الفرنسية، ويغادر ميراندا باريس بعد محاولات سجنه مرة أخرى، يغادرها متنكراً، يحمل جواز سفر مزيّف ويصل لندن في عام ١٧٩٨م.

استئناف نشاطه في لندن:

في لندن يشكل ميراندا جماعة تستهدف تحرير أمريكا اللاتينية تدعى «التجمع الأمريكي الكبير»، وكان ينتمي لهذه الجماعة أبرز أبطال تحرير أمريكا اللاتينية نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر: الجنرال سان مارتين بطل تحرير الأرجنتين الشهير، وكذا الزعيم الشيلي العظيم أوهجنز. وينضم لهذه الجماعة في فترة لاحقة سيمون بوليفر بطل تحرير فنزويلا وكولومبيا وأكوادور وبيرو وبوليفيا.

عودة إلى مجهودات ميراندا لتحرير أمريكا:

يكثف ميراندا مجهوداته لتحرير أمريكا يسانده في هذا أصدقاؤه في الولايات المتحدة الأمريكية، ويقرّر ميراندا أخيراً السفر للعاصمة الفرنسية، ولم تكن فرنسا آنذاك هي فرنسا الثورة

التي عرفها، كانت تحت حكم نابليون. وقد أعطته السلطات الفرنسية إذن الدخول لفرنسا ولكن تحت الرقابة المشدّدة، مما اضطرّه لمغادرة باريس مرة أخرى لمعاودة الكفاح من أجل تعبئة الجهود لتحرير المستعمرات الإسبانية بأمريكا، وتستمر مشروعات ميراندا للتحرير موقوفة التنفيذ بسبب الموقف الناشيء من وجود نابليون على رأس الحكومة الفرنسية، وهو قلق جعل كل عاهل من ملوك أوروبا يضع يده على رأسه يتحسّس موقع التاج بها، وبسبب يأس ميراندا من إقناع الحكومة الإنجليزية بمساندته، نجده يغادر لندن في طريقه إلى نيويورك في عام ١٨٠٥م. وفي الولايات المتحدة يلتقي بحفاوة أصدقائه القدامى، وهؤلاء بدورهم يبذلون مساعيهم الحميدة كي يعامل ميراندا كمحارب قديم في حرب استقلال الولايات المتحدة.

ويقوم ميراندا بتنظيم حملة لغزو فنزويلا عام ١٨٠٦م، يعاونه في هذا أصدقاء من مختلف الجنسيات، وتتجه الحملة إلى هايتي في طريقها إلى فنزويلا، ويتنبّه السفير الإسباني بالولايات المتحدة لذلك، فيقوم بتنبيه السلطات الإسبانية في إسبانيا وفنزويلا بذلك حتى تتّخذ الاحتياطات اللاّزمة. وتتجه سفن ميراندا إلى السواحل الفنزويلية، إلاّ أن حرس الساحل يتنبّه لذلك فتضطر السفن إلى الانسحاب والعودة إلى ترينيداد. ويوفّق ميراندا في تعبئة الجهود مرة أخرى كي يعود لغزو فنزويلا. وهذه المرة ينجح في الاستيلاء على مدينة كورو الفنزويلية، ويهرب القائد الإسباني انتظاراً لتعزيزات جديدة. ومع هذا فإن عدم تعاون السكان مع ميراندا أجبره على مغادرة

ـنزويلا بعد أن قبضت السلطات الإسبانية على بعض بحارته وشنقتهم.

عودة ميراندا إلى لندن:

يعود ميراندا إلى لندن في نهاية عام ١٨٠٧م، يعود ليعبِّىء جهوده مرة أخرى، إلاَّ أن الحكومة الإنجليزية لا تستجيب لمعاونته لانشغالها بمساعدة إسبانيا ضدّ فرنسا وذلك بعد أن دخلت قوات نابليون إسبانيا والبرتغال.

وفد فنزويلي برئاسة بوليفر يصل لندن:

في عام ١٨١٠م يصل إلى لندن وفد فنزويلي يرأسه سيمون بوليفر وذلك طلباً لمساندة الحكومة الإنجليزية في استقلال فنزويلا، ويتصل أعضاء الوفد بميراندا الذي كان يتمتع بتقدير واحترام الأوساط الثقافية والسياسية في العاصمة البريطانية، ويسهل لهم ميراندا مهمة الاتصال بالمسؤولين الإنجليز، إلاَّ أن هذه الاتصالات لا تُكلَّل بالنجاح وذلك لاعتبار هام: هو أن انجلترا كانت تساند إسبانيا في حربها ضد نابليون، ولهذا لم يكن من المعقول أو المنطقي أن تؤيَّد فنزويلا في كفاحها للاستقلال عن إسبانيا. إلاَّ أن الوفد الفنزويلي قد نجح على الأقل في إقناع ميراندا كي يعود إلى وطنه فنزويلا ليكون على رأس حركة التحرير. يعود ميراندا إلى فنزويلا تحوطه هالة كبيرة من المجد والنفوذ العالمي، فهو نفسه ميراندا الذي شارك في حرب استقلال الولايات المتحدة، وهو ميراندا قائد جيش الشمال في الثورة الفرنسية، يعود ميراندا إلى كراكس ليأخذ دوراً نشيطاً في حركة الثورة التي كانت تتبلور آنذاك فيما كانوا يدعونه

الجمعية الوطنية. ويطلب الوطنيّون من ميراندا أن يقود جيش التحرير، هذا الجيش الذي كان يتكوّن من مُجنَّدين ليس لديهم خبرة باستخدام السلاح، هذ فضلاً عن افتقارهم إلى النظام.

وخلال هذه الفترة بحدث في كاراكاس زلزال عام ١٨١٢م، وقد كان الزلزال من القوة حيث ترك العاصمة الفنزويلية خرائب وحطاماً، كما مات فيه أكثر من رُبع سكانها. والأدهى من ذلك أن أثر الزلزال تجاوز الجانب المادي إلى الجانب المعنوي: بحيث حطّم من معنويات الكثيرين، وقد اعتقد بعض السكان عن طريق إيحاء رجال الدين الإسبان بأن الزلزال ليس أكثر من عقوبة إلّهية وقعت على جماهير الشعب الفنزويلي بسبب محاولاتهم التحرّر والخروج على طاعة ملك إسبانيا. وللأسف الشديد كانت قوات ميراندا من الفنزويليين تفتقر إلى التنظيم والإعداد العسكري، لم يكن أمام بطلنا إذن مفرّ من توقيع معاهدة الاستسلام أمام القائد الإسباني مونتفردي، وذلك انتظاراً لفرصة أخرى يتم فيها إعداد القوات ومعاودة تحرير فنزويلا. إلاَّ أن القائد الإسباني لم يحترم شروط معاهدة الاستسلام، فأمر بالقبض على ميراندا حيث ألقى في أحد سجون فنزويلا، ثم نُقل بعد ذلك إلى سجن لاكرَّاكا في إسبانيا.

ويقضي ميراندا في سجنه بإسبانيا عامين تطوف برأسه أحلام الهروب من السجن عن طريق جبل طارق، كي يعود مرة أخرى لتحرير فنزويلا. ويحاول أصدقاؤه من ذوي النفوذ في إنجلترا التفاوض مع الحكومة الإسبانية لإطلاق سراحه، ولكنها محاولات باءت جميعاً بالفشل.

وفي ١٤ يوليو من عام ١٨١٦م يموت ميراندا في سجنه بقادس وعمره ٦٦ ست وستون عاماً. مات ميراندا هذه الميتة الفاجعة بعد حياة طويلة مليئة بالأمجاد والبطولات، فقصة حياته انتهت هذه النهاية الدرامية التي تشبه نهاية التراجيديات اليونانية. مات الرجل العظيم بعد أن أعلى من قيمة الحرية ورفع من قيمة المواطن الأمريكي اللاتيني.

وفي العاصمة الفنزويلية كاراكاس في المقبرة المعدة لاستقبال رُفات عظماء الفنزويليّين، يوجد تابوت رمزي ينتظر أن يصل إليه رفات ميراندا، ذلك الرّفات الذي لم يعرف طريقة أبداً إلى التُربة الفنزولية، تلك التربة التّي أحبها ميراندا وعاش بها ولها.

تحية إلى روح البطل العظيم رائد الحرية في كل العصور.

• • •

بوليفار، ودوره الهام
في تحرير أمريكا الإسبانية

في الصفحات المقبلة، سنتعرَّض لشخصية بوليفار بالتحليل والتعليق، ليس فقط كمحرِّر؛ وإنما كمثقَّف بارز، وصاحب مذهب فلسفي جديد.

(المؤلف)

بوليفار، ودوره الهام في تحرير أمريكا الإسبانية

تقديم: إنَّ المؤرِّخ لتاريخ أمريكا: يستوي في ذلك الشمالية أو الجنوبية لا يمكنه أن يتجاهل واحداً من أهم الشخصيات في تحرير قارة مريكا الجنوبية وأعني به: **سيمون بوليفار**؛ وهو نموذج ليس له نظير في التاريخ العالمي، فقد جمع بين الخبرة العسكرية الفائقة، والثقافة الواسعة التي لم تَدَعْ فرعاً من فروع المعرفة الإنسانية إلاَّ أحاطت به. وأهم من هذا قدرته على قيادة الرجال، هذا فضلاً عن الصلابة وقوّة الإرادة التي عُرف بها، والتي جعلته كما وصف نفسه: رجل المصاعب! وكأنما كانت المواقف العسيرة تستخرج أحسن ما بداخله من طاقة، وإرادة فولاذيّة، وكلها أسلحة لازمة لقهر المشاكل المستعصية.

نبذة عن حياته: وُلِدَ بوليفار في العاصمة الفنزويلية كاراكاس في الرابع والعشرين من يوليو لعام ١٧٨٣م. وكان واحداً من أربعة إخوة. أكبرهم ماريا أنطونيا من مواليد عام ١٧٧٧م، وخوانا من مواليد عام ١٧٧٩م، وخوان فسنتي من مواليد عام ١٧٨١م، ثم بوليفار من مواليد ١٧٨٣م. وشقيقة أخرى هي ماريا دِلْ كارمن وق. توفت عقب ميلادها عام ١٧٨٥م

وكان والده الكولونيل خوان فسنتي بوليفار قائداً للمليشيا برتبة عميد وقد مات وبوليفار لم يتجاوز الثالثة من عمره وذلك في عام ١٧٨٦م.

وهذا يعني: أنّ سيمون بوليفار: عانى مرارة اليُتْم في سن مبكّرة. وبعد ست سنوات من موت أبيه، ماتت أمه ماريا دي لا كونسبثيون بعد صراع طويل مع مرض السل الرئوي.

وهذه الأحداث الأليمة تركت على طفولته مسحة من الحزن والكآبة. ووقعت وصاية الطفل على كاهل عمّه كارلوس بلاسيوس.

إعداده الثقافي: اهتمت الأسرة بتعليم الطفل بوليفار، وكان بكراكاس آنذاك معلم يتمتع بشهرة كبيرة في التدريس هو سيمون رودريجز، وتلقّى بوليفار دروسه في بيت معلِّمه الذي أدرك بفطنته أنَّ تلميذه يتمتع بذكاء مُبكِّر فأولاه اهتماماً خاصاً يفيض بعاطفة من المودة والتقدير.

وكان عدم تفرغ عمه ووصيّه كارلوس للاهتمام به مَدْعاة لأن يلجأ إلى شقيقته الكبرى ماريا أنطونيا ملتمساً منها أن يعيش في بيتها. حدث ذلك وبوليفار قد أكمل عامه الثاني عشر. وكان آنذاك يتمتع بنضج مبكّر ساهم في صياغته المواقف الدرامية التي عاشها. وأعني بها موت أمه وأبيه وهو يحبو في سنوات طفولته الأولى. ونظراً لعناد الطفل استقر الرأي أخيراً على أن يعيش في بيت معلِّمه سيمون رودريجز، وبعد شهور قضاها في بيت معلمه قرَّر بوليفار وبمحض إرادته، وبعد أن تروّى في أمره في هذه

السن المبكرة، قرَّر أن يعود ليعيش مع عمه ووصيّه كارلوس بلاسيوس.

وفي بيت عمه كان يتلقى دروساً في الرياضيات على يدي الراهب فرانسيسكو أندوخار، كما كان يتلقى دروساً في الأدب والتاريخ على يد من أصبح فيما بعد أكبر مشرّع في أمريكا اللاتينية: أندريز بيو.

وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره عام ١٧٩٨م: يتلقى الأمر الملكي كي يصبح ملازماً في فيلق المشاة في وادي أراجوا. وخلال هذه الفترة كانت العاصمة الفنزويلية تعيش أحداثاً هامة تتردد فيها الدعوة للثورة والاستقلال عن إسبانيا. وكان يقود هذه الأحداث مانويل جوال، وخوزيه ماريا إسبانيا. وتتمكن السلطات الإسبانية من القبض على خوزيه ماريا إسبانيا وتأمر بشنقه، وتعليق رأسه في قفص حديدي في ميناء لا جُوَيْرا كي يكون عبرة لمن تسوّل له نفسه التمرد على السلطات الإسبانية الحاكمة.

هذا بينما يتمكن رفيقه في الثورة مانويل جوال من الهرب إلى جزيرة ترينيداد حيث يموت في الجزيرة الكاريبية حزناً على فشل الثورة. ويسود العاصمة كراكاس جو من الحزن الأليم. ذلك أن الكثير من أبناء الشعب الفنزويلي كان يتعاطف مع الثورة. وكان بطلنا بوليفار في طريقه إلى العاصمة الإسبانية أثناء وقوع هذه الأحداث الأليمة.

بوليفار في أوروبا: المعروف أن بوليفار قام برحلات

ثلاث إلى أوروبا الأولى عام ١٧٩٩م وقد امتدت إقامته خلالها حتى عام ١٨٠٢م، والثانية عام ١٨٠٣م، وقد امتدت حتى منتصف عام ١٨٠٦م، وكانت الثالثة عام ١٨١٠م. والرحلات الثلاث كان لها دلالة كبيرة في صياغة أفكاره الثورية، وكذا التعرف على ما كان يجري في أوروبا آنذاك.

والرحلة الأولى لأوروبا تُعتبر حاسمة في إعداده الثقافي: وكان نفوذ عمه استيفان بلاسيوس في مدريد من القوة بحيث فتح له الأبواب المغلقة في العاصمة الإسبانية. هذا فضلاً عن أنّه اختار له أفضل المعلمين الذين تلقّى على أيديهم دروساً في اللغة الإسبانية، واللغة الفرنسية والرياضة، والجغرافيا، والتاريخ الطبيعي. بالإضافة إلى أسلحة الحياة الاجتماعية آنذاك، وأعني بها: فن المبارزة والرقص الحديث، مما مهّد له التردد على الحفلات والمسارح.

لقاؤه مع الماركيز دي أستاريز: المعروف أن الماركيز دي أستاريز من مواليد كراكاس عام ١٧٣٥م. وكان من مثقفي عصره، كما كان له مؤلفات جيدة في السياسة والاقتصاد في تلك الحقبة البعيدة من الزمان. ولا شك أنه تحدث مع بوليفار في أهم قضايا العصر السياسية والاقتصادية، ونحن لا يمكن أن نُغفل تأثير الماركيز دي أستاريز على بوليفار إبان سنواته المدريديَّة. كان أستاريز رجلاً مثقفاً يتمتع بمعرفة مَوسوعية، فضلاً عن النضج السياسي والخبرة بالحياة العامة.

وقد أقام بوليفار بمنزل الماركيز عدة شهور، وهو ما أتاح

له الاختلاط به عن قرب، والاستفادة بأوسع ما تحمله الكلمة من معنى من خبرة الماركيز وثقافته العريضة. وفي مناسبات كثيرة كان بوليفار يذكر اسم الماركيز أستاريز مادحاً ومُقرِّظاً إياه، وأنه كان يتعلم من الحديث معه أكثر من حديثه مع غيره من العلماء.

قصة حب بوليفار الأولى: نشأت وترعرعت في بيت الماركيز دي أستاريز، فهناك في منزل الماركيز التقى بمن أصبحت زوجته فيما بعد: ماريّا تيريزا دِلْ تورو، ابنة برناردو شقيق الماركيز دِلْ تورو، ويصيب العاشق الولهان سهم كيوبيد، فيقع في غرام ماريا تيريزا، وتأسره رصانتها ووداعتها الحلوة. كان العاشق المُتيّم لا يتجاوز السابعة عشر من عمره، بينما كانت حبيبة القلب والروح تكبره بعامين.

وفي السادس والعشرين من مايو عام ١٨٠٢م يكتمل حب العاشقين بالزواج. وبعد فترة قصيرة يقرّر الزوجان العودة إلى العاصمة الفنزويلية كراكاس وهما يطيران من السعادة. وكانت الحمى الصفراء تنشر لهيبها في كراكاس فيتساقط صرعى نارها الكثيرون. وتسقط الزوجة صرعى الحمى، ويتردّد على منزل المريضة صفوة الأطباء في العاصمة الفنزويلية، والجميع يحاول استخراج ذخائر علمه كي يشفي المريضة، ولكنها جهود ذهبت عبثاً ودون جدوى. وتموت الزوجة في الثاني والعشرين من يناير عام ١٨٠٣م.

وكان من آثار هذه النكبة الفاجعة أن تركت بصماتها

العميقة في قلب من أصبح فيما بعد محرر أغلبية دول أمريكا الجنوبية. والكثير من المُؤرّخين يتفق على أن فاجعة بوليفار بموت زوجته الشّابة قد غير خط حياته تماماً. وبوليفار نفسه يذكر لصديقه دي لا كروا في مايو عام ١٨٢٨م «بأنّه لولا موت زوجته المفاجىء، لما تحول إلى بوليفار القائد المحرّر، ولكان مقيماً مع زوجته ينهلان من كؤوس السعادة في ضيعته القريبة من كراكاس»، «إنّ موت زوجتي قد وجّه حياتي إلى السياسة، كما جعلني أتبع مارس «إلّه الحرب» وليس محراث سيزيس».

ونحن بدورنا نقول: إن هذا القول من الممكن أن يكون مُبالغاً فيه: ذلك أنّ العاصمة الفنزويلية، وكذا عواصم أخرى في أمريكا الإسبانية، كان يخفق فيها نبض الثورة، وكانت كتب الثورة الفرنسية لروسو ومونتسكييه يتداولها المثقفون خِفية عن عيون الرُّقباء، ولا بد أن هذه الأحداث كانت تفرض وجودها على الجميع: لأنّ من يعيش بجوار لهب النيران لا بد وأن تصيبه لفحة منها.

مُجمل القول: أن بوليفار كان يعيش فراغاً عميقاً بعد موت زوجته، فقد كان يحبها حباً عميقاً ملأ عليه جوانب نفسه. من ناحية أخرى فقد عاش تجربة أليمة من قبل هي موت أمه وأبيه في سنوات طفولته المبكِّرة. وجاء موت زوجته بعد ذلك لتكتمل عناصر المأساة في حياته. كل هذا كان ولا بد أن يترك جرحاً عميقاً لا يلتئم، ولهذا فقد صمّم بينه وبين نفسه ألّا يعود للزواج مرة أخرى وقد أوفى بوعده.

موت زوجته المفاجيء سبب رحلته الثانية لأوروبا: كانت رحلته الثانية لأوروبّا عام ١٨٠٣م: هي رحلة البحث عن العزاء والسلوى بعد الكارثة الأليمة التي نُكبَ بها: وهي موت الزوجة الحبيبة. ويصل الهارب، من همومه وآلامه الكبيرة إلى إسبانيا، ويقضي فترة قصيرة في إسبانيا ليستأنف رحلته بعد ذلك إلى فرنسا. وهناك في باريس عاصمة النور يلتقي بقريبة له هي: فاني دي فِيّار، وكانت تقيم مع زوجها الكونت دي فيّار وتدعوه للإقامة بمنزلها: وتنشأ بينهما روابطة صداقة حميمة تتجاوز مستوى العلاقات العادية بين رجل وامرأة، وفي بيت فاني يلتقي بوليفار بالمستكشف الألماني الكبير ألكسندر همبولت. وكان قد عاد من رحلته الطويلة بأمريكا، ويتحدث بوليفار معه حول مستقبل أمريكا اللاتينية، ويؤكد له همبولت أنها «يعني أمريكا» في وضع يسمح لها بالاستقلال عن إسبانيا. يلتقي أيضاً في بيت (فاني) بصفوة المجتمع الباريسي، وينهل بوليفار من مُتع الحياة الباريسيّة، ولكن ليس على النحو الذي يُنسيه الاهتمام بإعداده الثقافي. وحدث آخر ترك في نفسه أثراً عميقاً هو تتويج نابليون: ويقول في هذا: «إنّ هذا الحدث هزَّني بشدة ليس فقط لروعة الاحتفال، وإنَّما لمشاعر الحب الدافقة التي أبدتها الجماهير تجاه بطلها. . . . إن التاج الذي تم وضعه على رأس نابليون لم يكن شيئاً هاماً ولكن الروعة الحقيقية هو هذا الاهتمام، وهذا الهتاف الذي أثاره نابليون، وهو ما جعلني أفكر في وضع الاستعباد الذي يعيش فيه بلدي، وكذا المجد الذي سيكلّل رأس من يعمل على تحريره».

والأهم من هذا لقاؤه بصديقه ومعلمه القديم سيمون رودريجز: في باريس، كان سيمون رودريجز آنذاك يبلغ الرابعة والثلاثين بينما كان بوليفار في الواحد والعشرين من عمره. كان المعلّم رودريجز بمثابة الصديق والمرشد والمُوجّه الثقافي خلال إقامة بوليفار في باريس. ورغم تردد بوليفار على المسارح ودور اللهو الباريسية فقد كرّس الكثير من وقته للقراءة الجادّة الدائبة: قرأ لوك وكوندياك ودالمبير وروسو وفولتير.

بعبارة أخرى كافة كلاسيكيات الفلسفة القديمة والحديثة، وكذا الأدب الإسباني والإيطالي من خلال ترجمات فرنسيّة، وهي اللغة التي أجادها إجادة تامة، بحيث يمكن القول دون خشية الوقوع في خطأ التقدير: بأنّ الثقافة الفرنسية تركت بصماتها العميقة في روح المحرّر سيمون بوليفار، وذلك دون أن تنال من أصالته. وكان يصحب هذا حياة اجتماعية حافلة تعيش أمسيات بهيجة من مسارح، وحفلات، وموسيقى. ولم يكن هذا غريباً على شاب تُدِرُّ عليه أملاكه في فنزويلا عائداً سنوياً **لا يقل عن مائتي ألف فرنك**: وهو مبلغ رهيب إذا أخذناه بمقاييس العصر آنذاك. وكان معلمه سيمون رودريجز يحثّه على قراءة هولياخ، وهيوم، وهوبز. ويتذكر بوليفار هذا في قمة مجده الحربي، فيقول قولته الشهيرة: «آه يا مُعلّمي! لقد رسمت خطواتي، لقد صُغْت روحي على الحرية والعدالة، على كل ما هو جميل وعظيم...». وهذا يوضّح بجلاء مدى تقدير بوليفار لدور معلمه سيمون رودريجز، في توجيهه ثقافياً، وهذا بالطبع لا يُلغي قدرات بوليفار الخاصة على التحصيل،

واستعداده الكبير للفهم والملاحظة السريعة.

رحلة بوليفار لإيطاليا برفقة سيمون رودريجز: في ١٥ أغسطس عام ١٨٠٥م، بدأ بوليفار ومعلمه سيمون رودريجز، وصديقه فرناندو تورو رحلتهم إلى إيطاليا حيث قضوا بقيّة العام بها. وفي جبل مونت ساكرو بروما أقسم بوليفار أمام معلمه قسَمه الشهير: «بأنّه لن تهدأ نفسه وتستريح حتى يحرّر بلده من براثن الاستعمار الإسباني». وفي نهاية عام ١٨٠٥م عاد وحده لباريس حيث استقر بها حتى شهر نوفمبر. وبعد ذلك شرع في رحلته إلى فنزويلا مارّاً في طريقه بالولايات المتحدة الأمريكية.

الإعداد العسكري لبوليفار: الحق أنّ قدرة بوليفار الحربية في إدارة معارك حرب الاستقلال في أمريكا الجنوبية من الممكن أن تثير السؤال الآتي: ما هي درجة الإعداد العسكري لبوليفار؟ وهو ما صنع منه فيما بعد قائد معارك النصر الكبرى في القارة الأمريكية الجنوبية.

المعروف أنّ بوليفار درس الرياضيات في أكاديمية سان فرناندو بمدريد، والرياضة تشكل جزءاً هاماً من العلوم العسكرية. كان بوليفار من ناحية أخرى يتابع معارك نابليون واستراتيجيته العسكرية باهتمام كبير، وفي كتاب «بوليفار والفن العسكري، لفسنتي ليكونا»، يطرح المؤرخ الفنزويلي الشهير نفس السؤال، ويجيب على هذا التساؤل قائلاً: «إن بوليفار كان لديه قدرة عجيبة على التحصيل، وهذا ما يفسّره استخدام السلاح الأبيض مطبّقاً نظرية نابليون في هذا الصدد، وهو

ما حقق له النصر في معركة خونين.

من ناحية أخرى فإن ما يقال عن دراسة بوليفار في أكاديمية سوريز العسكرية في فرنسا هو موضع شك كبير. وتفسير ذلك أنّ أكاديمية سوريز كانت تتمتع بشهرة كبيرة في إسبانيا، كما أن تواجد بوليفار في سوريز لم يكن أكثر من زيارة وُديّة لبعض أقاربه الذين كانوا يدرسون بالأكاديمية، أيضاً، فإنّه لا يوجد في سجلات الأكاديمية ما يثبت تسجيله بها كطالب، وهو ما أكّده فيما بعد المؤرخ بول فرنا في كتاب «بوليفار في فرنسا»، والشيء الثابت والمؤكد أن قراءات بوليفار **في فن الحرب**: كانت كثيرة ومتشعّبة، ومن المعروف أنه كان في وقت فراغه يقرأ كتاب «تعليقات قيصر»، والكتاب ما زال محفوظاً في بيت بوليفار بكراكاس، ويلاحظ على الكتاب شدة الاستهلاك لاستعماله الكثير. أيضاً كان بوليفار يتابع باهتمام كبير كل ما يُطبع عن الفن العسكري، ومن أشهر الكتب التي قرأها في هذا المجال «مقال عن التكتيك»، وقد طُبع في باريس عام ١٨٠٢م.

فضلاً عن هذا كان بوليفار يتابع بعين فاحصة دراسة حملات نابليون العسكرية، ويحاول أن يستخرج منها كل ما هو إيجابي وفعّال ليستفيد منها في معاركه العسكرية.

ويذكر المؤرخ الفنزويلي المعروف فسنتي ليكونا بعض المراجع العسكرية التي كان بوليفار يستعيد قراءتها. فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ــ غزوات الإسكندر الأكبر.
٢ ــ الأعمال العسكرية للمارشال فوبان، من تأليف فلافيو أريان.
٣ ــ القوانين البحرية.

وكما يذكر المؤرخون: فقد كان بوليفار يجمع كل صفات العسكري الناجح، فهو استراتيجي بارع، فضلاً عن الشجاعة وحسن اتخاذ الرأي المناسب في الوقت المناسب.

وكذا العزيمة التي تزيدها الصّعاب صلابة. فهو صاحب الرأي السديد في المواقف الصعبة.

خلاصة القول: أن الدراسة العسكرية المنتظمة لم تتيسّر لبوليفار، إلاَّ أن ألْمعيّته، ومتابعته لعوامل نجاح وفشل بعض حملات نابليون، كل هذ زوّده بالقدرة العسكرية القائمة على أسس عمليّة. أيضاً كان بوليفار يستشير بعض خططه الحربية مع قواده المخلصين مثل سُكْرِي. كما كانت دراسته للتاريخ تساعده كمرشد للمقارنة والاستفاد من دروس الماضي.

فهو صانع خبرته العسكرية: بقراءاته الغزيرة المُتنوّعة في الفن العسكري، وكذا متابعته لأحدث آراء العصر في هذا الصدد.

رحلة بوليفار الثالثة لأوروبا: بوليفار: كان عليه أن يرأس وفداً فنزويلياً إلى لندن: وكان هذا الوفد يتكون منه كرئيس ومن عضوين آخرين هما لويز منديز، أندريز بيو، وذلك عقب قيام ثورة في فنزويلا كان من آثارها: ١ ــ إقالة المحافظ المُعيَّن من

حكومة إسبانيا، وكذا إقالة أعضاء المحكمة العليا، والمستشار العام للحكومة. وعقب ذلك **تمّ تشكيل مجلس إدارة وطني من** الثوّار.

وكانت رحلة بوليفار ورفاقه إلى لندن تستهدف بالدرجة الأولى كسب تأييد الحكومة البريطانية للنظام الجديد في فنزويلا. وفي لندن التقى بوليفار بالبطل الثوري الفنزويلي فرانسيسكو دي ميراندا. وكان ميراندا يتمتع بنفوذ كبير في أوساط العاصمة البريطانية. مما سهّل لبوليفار والوفد المرافق له الاتصال بأهم الشخصيات في لندن. وفي إحدى اللقاءات الكثيرة التي تمت بين بوليفار وميراندا أقنعه بوليفار بالعودة لفنزويلا كي يقود الكفاح من أجل طرد المستعمر الإسباني.

وصول ميراندا إلى كراكاس: وصل ميراندا إلى كراكاس حيث قام من فوره بحشد الجهود لشَنِّ حرب ضد القوات الإسبانية، وأُسند لبوليفار منصب قائد قلعة بورتو كابيّو، وكانت صلاحيات بوليفار لا تتعدى الجانب العسكري عندما تمَّ ميلاد الجمهورية الأولى في فنزويلا. وقد أُسند إلى ميراندا القيادة العامة لجيش الثوار، وحاربت جنوده التي كان ينقصها الإعداد والتدريب ببسالة: إلاّ أنّ الحرب فشلت في تحقيق أهدافها المرجُوّة مما أدّى بميراندا إلى توقيع الاستسلام.

وعندما ندرس أسباب فشل ميراندا في تحقيق النصر ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار مجموعة من العوامل التي أدّت لهذه النتيجة الحزينة:

أولها: تحالف الطبيعة ضد جيش الثوار بقيادة ميراندا وذلك نتيجة لحدوث زلزال في كراكاس في ٢٦ من مارس عام ١٨١٢م، وقد أتى هذا الزلزال على الأخضر واليابس، كما دمَّر العاصمة تدميراً كاملاً بحيث مات فيه عشرة آلاف شخص وهو ما يشكِّل ربع سكان كراكاس، كما امتد تأثير الزلزال إلى مدن أخرى في فنزويلا. والأسوأ من هذا ما كان يُذيعه ويُشيعه بعض القسس الإسبان: من أن الزلزال هو بمثابة عقوبة إلهية سلّطها الله على الفنزويليين لتمردهم على التاج الإسباني.

ثانياً: من ناحية أخرى فقد كان بوليفار يتولى قيادة معسكر بورتو كابيو، وكان بالمعسكر عدد كبير من الأسرى الاسبان، وكان هؤلاء رغم الحراسة الشديدة المفروضة عليهم على اتصال ببعض العناصر الفنزويلية التي ما زالت تدين بالولاء للتاج الإسباني، ولذا فإنّه عندما واتت الفرصة هؤلاء الأسرى تمكنوا من السيطرة على المعسكر الذي كان هاماً لأنه كان مستودعاً للتموين والذخيرة، وقد ساعد هؤلاء الأسرى القائد الإسباني منتفردي، مما أدّى إلى سقوط المعسكر في أيدي القوات الإسبانية. ورغماً عن أن بوليفار وضع كل طاقته وجهوده لإنقاذ المعسكر إلاّ أنه سقط في أيدي الإسبان. وقد طلب بوليفار تعزيزات دفاعية من ميراندا عن طريق رسالة أرسلها إليه، إلاَّ أن الرسالة وصلت ميراندا متأخرة بعد خمسة أيام، وهذا طبيعي لسوء وسائل المواصلات آنذاك.

ومما زاد الموقف سوءاً: أنه في الثالث عشر من يوليو قام

العبيد بوادي بارلوفنتو، بالتمرد والثورة على القيادة الوطنية واتجهت مسيرتهم إلى كراكاس وهم يهتفون: «عاش الملك»، وفي طريقهم إلى العاصمة قاموا بحرق المزارع وقتل البيض دون أن يأخذوا في الاعتبار من يقتلون سواء كانوا من الثوار الوطنيين أَوْ من الموالين للتاج الإسباني.

ثالثاً: أيضاً فإنَّ ميراندا الذي كان يقوم بمهمة القيادة العامة للجيش وهو يحمل على كاهله أكثر من ستين عاماً، قد أنهكته الحرب لعدم توفر الأسلحة، بالإضافة لعدم تدريب الجنود تدريباً كافياً، وهو القائد المُحنَّك الذي شارك في حروب انتصارات الثورة الفرنسية، والذي تعوَّد على النظام العسكري الصارم.

رابعاً: **ميراندا**: كان أيضاً مقتنعاً بضرورة إيقاف الحرب مؤقتاً حتى يحفظ لنفسه ولجنوده كرامتهم انتظاراً لطلب المعونة من الخارج. وربما أخطأ ميراندا في عدم تقديره لفاعلية الجنود الذين كانوا تحت قيادته، والذين حققوا بعض الانتصارات البارزة. وقد دعته هذه العوامل مجتمعة إلى توقيع اتفاق الاستسلام دون أن يأخذ في الاعتبار أن القائد الإسباني لن يراعي شروط الاستسلام، وهو ما يوضح كما يقول المؤرخ الفنزويلي سالسيدو باستاردو «بعد ميراندا عن فهم واقع فساد النفوس في العصر الذي كان يعيش فيه». والنتيجة الغير سارّة أن القائد الإسباني لم يحترم شروط الاستسلام، وتم القبض على ميراندا حيث أُرسل فيما بعد إلى سجن لا كرّاكا، في إسبانيا بمدينة قادس ليموت غريباً عن وطنه الذي أحبّه في ١٤ يوليو

١٨١٦م.

خروج بوليفار من فنزويلا: بعد الهزيمة التي لحقت بجيش الثوار الفنزويليين لم يكن أمام بوليفار مَفرّاً من الخروج من فنزويلا، وقد أبحر أول الأمر إلى جزيرة كوراساو، ثم سافر منها إلى قرطاهنه بكولوميا، **ومن قرطاهنه أصدر بيانه الشهير المعروف** باسم «**بيان قرطاهِنه**»: وفيه لخَّص الخطوط العامة لفلسفته الثورية.

كما حلّل فيه عوامل فشل الجمهورية الأولى من خلال تجربة عملية ناضجة. **والبيان يُعتبر وثيقة تاريخية هامة لأنه نوع من النقد الذاتي**، هذا بالإضافة إلى أنّه محاولة جادّة **لتصحيح مسار الثورة الفنزويلية، وتجنب أخطاء سابقة دعت لفشلها**.

بوليفار يحصل على مساندة كولومبيا: استطاع بوليفار بألمعيّته وحسن اتصالاته أن يحصل على مساندة عسكرية من حكومة كولومبيا، كما منحته الحكومة الكولومبية **لقب جنرال**. وفي محاولة جريئة تثير الدهشة والإعجاب **حاول بوليفار غزو فنزويلا** في مغامرة عسكرية لا نظير لها في تاريخ الحروب تُعرف باسم **الحملة الجديرة بالإعجاب**، وقد دخلت قواته مدينة سان كرستوبال، ووصل إلى مريدا حيث أُنعم عليه بلقب المُحرّر ومن مدينة تُروهِيّو **أصدر قراراً بإعلان الحرب حتى الموت**، ووصل بوليفار إلى كراكاس في ١٩ من أغسطس وفي العاصمة الفنزويلية تمَّ تعيينه قائداً عاماً عام ١٨١٤م.

فشل تكوين الجمهورية الثانية: الحق أن عدم نجاح إقامة

الجمهورية للمرة الثانية بفنزويلا يرجع إلى أن: الولايات المتحدة وإنجلترا كانتا تساعدان الجيش الإسباني، وبالإضافة لهذا، كان هناك مغامر إسباني يقيم في السهول الفنزويلية يدعى بوفيس، تسبَّب في هزيمة جيش بوليفار، وبالتالي إسقاط الجمهورية الثانية في فنزويلا.

خروج بوليفار إلى جمايكا: استقر بوليفار في منفاه بجمايكا عام ١٨١٥م ولمدة سبعة أشهر في مدينة كنجستون، حيث عاش فترة من القلق والترقّب استعداداً للعودة إلى فنزويلا. ومع مشقة الصعوبات التي كان يمرُّ بها، فضلاً عن سوء حالته الاقتصادية آنذاك، فإنّه لم يفقد عزيمته الحديديّة. أيضاً كانت إقامته في جمايكا فرصة طيبة للتروي وإعادة النظر في مستقبل خططه العسكرية **لغزو فنزويلا**. وكان من حصاد هذه الفترة أن كتب **رسالته الشهيرة المعروفة باسم رسالة جمايكا**، والرسالة تحمل عنوان: «من أمريكي جنوبي إلى سيّد من جمايكا»، وفي هذه الرسالة تحدّث بوليفار عن كثير من أفكاره الهامة: والتي من أبرزها: **١ ــ ضرورة تكامل واتّحاد** دول أمريكا اللاتينية بهدف مواجهة الاستعمار الإسباني والحصول على الاستقلال.

وفي الرسالة نجد أيضاً: **رؤية واعية مستنيرةً لمستقبل القارة الأمريكية** وما يمكن أن تتعرض له من كوارث، وفي فقرة أخرى من الرسالة، يقول: «إن ما نفتقر إليه هو الوحدة كي نستكمل عملية الإصلاح، وتحقيق الوحدة لن يتم بمعجزة إلّهية، وإنما سيكون نتيجة للجهود السديدة».

كانت الرسالة إذن أشبه برؤية تنبّؤية لمستقبل أمريكا اللاتينية، وما يمكن أن ؤدي إليه فيها الصراعات على السلطة، من تفرّق.

أهم ما تنطوي عليه الرسالة: هو ما تحتويه من رؤية واعية مستنيرة لمستقبل أمريكا. وهو ما يؤكّد الخبرة والنضج السياسي لبوليفار الذي استفاد من قراءاته الكثيرة من روسو ومونتسكييه، وأصحاب دائرة المعارف الفرنسية، ويمكن إيجاز **أهم محتويات الرسالة** فيما يلي: **أولاً**: يشرح بوليفار: وضع أمريكا قبل، وبعد كفاحها من أجل الحرية والاستقلال، ثم يستنكر الرذائل الاجتماعية والسياسية فيها. وبعد هذا يقدّم التشخيص والعلاج لهذه المساوىء. **ثانياً**: **رفض الملكية كنظام للحكم**، ثم يدعو لوحدة دول أمريكا **اللاتينية كحل أمثل لمواجهة قلاع الاستعمار الإسباني**.

مجمل القول: أن الرسالة تعتبر رسماً تخطيطياً لمستقبل أمريكا، وما يمكن أن يتوتر عليها من حكام طغاة أو عادلين.

هي أيضاً رؤية واعية تستعين بالخبرة والاستقراء، ولا تعتمد على التكهن بالأحداث.

رسالة جمايكا إذن تلخّص فلسفة بوليفار السياسية، فهي أشبه بمصباح منير يرفعه بوليفار ليستنير بضوئه من يبحث عن خط سياسي سليم لمستقبل أمريكا.

العودة لفنزويلا وتكوين الجمهورية الثالثة: وصل بوليفار إلى جزيرة «مرجريتا» الفنزويلية عام ١٨١٦م. وقد هُزمت قواته مرة أخرى، مما اضطره إلى التقهقر بهذه القوات ولم يكن أمامه مفرّ من الخروج من فنزويلا مرة أخرى. وهذه المرة لجأ إلى جزيرة هايتي، ولم يتخلَّ عنه رئيس هايتي آنذاك الجنرال بتيون وقدّم له مساعدة عسكرية كبيرة، وهو موقف نبيل يذكره له التاريخ بحروف من نور. واستعدّ بوليفار بقواته مرة أخرى، وشَنّ هجوماً مكثَّفاً عام ١٨١٦م. وكانت مكافأة هذه المجهودات المثابرة انتصاره في معركة الكاياو. وكذا معركة كارابوبو، وهي معارك حاسمة في تاريخ أمجاد حرب الاستقلال الفنزويلية.

ونحبُّ هنا أن نخص بالذكر **معركة كارابوبو**: التي كان يشترك فيها خيرة القواد الفنزويليين وعلى رأسهم قائد السهول الفنزويلية: الجنرال أنطونيو بايز. وكان عدد القوات الفنزويلية الوطنية لا يتجاوز الستة آلاف وأربعمائة جندي. كان من بينهم بعض المتطوعين البريطانيين، كما اشترك في المعركة العبيد الذي تم تحريرهم من العبودية، وتحولوا أثناء المعركة إلى ضباط ممتازين. وكان للجنرال بايز القائد الفنزويلي البارع دور أساسي وحاسم، حيث استطاعت قواته أن تحقق أهم عناصر النصر في المعركة، وهو مجد يسجله له التاريخ بالتقدير والعرفان. ودلالة معركة كارابوبو هي أنها كانت جوهرية وحاسمة في تحرير فنزويلا من براثن الاستعمار الإسباني، كما أنها كتبت صفحة استقلال فنزويلا بصورة شبه نهائية.

كارابوبو هي معركة المجد العسكري الفنزويلي: حيث كانت الاستراتيجية الداهرة، والتخطيط الذكي، والشجاعة الفائقة، وتنسيق الجهود بين القوات المختلفة. هي أسلحة معركة المجد والفخر الفنزويلي في كافة العصور.

تحرير العبيد: قام بوليفار بتحرير العبيد، وهي فكرة كانت تراوده منذ فترة طويلة، وخاصة بعد أن أبلوا بلاءاً حسناً في حروب الاستقلال، كان تحريرهم من الرّق مكافأة عادلة لمواطنين استحقّوا بجدارة هذا اللقب، وكان من بينهم ضباط ممتازون تقدّموا الصفوف في شجاعة نبيلة أثناء معارك الاستقلال.

الانتصار يقود إلى الانتصار: وكما أن النجاح يؤدي إلى نجاح أعظم فقد اتجه بوليفار بقواته من مدينة أنجستورا الفنزويلية كي يقوم بتحرير أغلب دول أمريكا الجنوبية، وعبرت قواته الباسلة جبال الأنديز مرة أخرى كي تحرّر كولومبيا في معركة بوياكا الشهيرة في ٧ أغسطس عام ١٨١٩م، وكذا في معركة بومبونا عام ١٨٢٢م.

تأمين استقلال فنزويلا وكولومبيا: بوليفار كان يدين بمبدأ أنّه لتأمين استقلال فنزويلا وكولومبيا وكانتا آنذاك يضمّهما اتحاد، كان مقتنعاً أنه لضمان استقلال دول الاتحاد يلزم تحرير باقي دول أمريكا الجنوبية التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار الإسباني. ولهذا فقد اتجه بجيشه إلى جنوب القارة الأمريكية الجنوبية يصحبه قائد فنزويلي لامع هو أنطونيو سكري.

وتم تحرير الإكوادور في معركة أياكوتشو الشهيرة. وفي هذه المعركة الشهيرة يقوم القائد الفنزويلي أنطونيو سُكْري في سرعة وثقة، وفي ضربة مفاجئة حاسمة بهزيمة الجيش الإسباني. وانتصار قوات بوليفار في هذه المعركة يعتبر بلا شك فخراً للعسكرية الفنزويلية في جميع العصور.

دخول سكري أحد قوات بوليفار للبيرو: دخل سكري البيرو بعد أن حرّرها، كما تمّ **تكوين جمهورية جديدة كانت جزءاً من البيرو، وتم تسمية هذه الجمهورية بوليفيا، وذلك تكريماً لاسم المُحرّر بوليفار**، وكذا مكافأة لمجهوداته **العظيمة في تحرير دول أمريكا الإسبانية**. وقد عيّن بوليفار أول رئيس للجمهورية الجديدة أحد قواده المخلصين، وهو أنطونيو سكري.

مانويلاساينز (Manuela Saénz): رفيقة بوليفار المخلصة في حروب استقلال جنوب القارة: كان أول لقاء لمانويلا مع بوليفار عندما كانت تجري الاستعدادات للاحتفال باستقبال بوليفار في كيتو عاصمة الإكوادور ابتهاجاً بتحرير الإكوادور على يد القائد العظيم. كانت الشوارع تمتلىء بأفراد الشعب المبتهجة، كما كانت شرفات المنازل تزدحم وتزدان بزهرات مجتمع كيتو من السيّدات الجميلات، وكُنّ يحملن الأعلام وباقات الزهور. وكانت تقف بينهن مانويلا التي وجدت من نفسها الشجاعة، والرغبة الشديدة في أن تلقى باقةً من الزهور على المحرّر بوليفار. وسقطت باقة الورود فوق رأس

بوليفار الذي كان يدخل المدينة مظفَّراً يتبعه ستمائة جندي وهو يمتطي صهوة جواد أشهب.

كان بوليفار يبدو رائعاً في زيّه العسكري الأنيق. ولم يكن هناك مفرّ من أن يرفع رأسه ليرى من ألقت عليه باقة الزهور. وهنا التقت عيناه بعينين ساحرتين ترمقانه بإعجاب وفضول. ومنذ هذه اللحظة بدأت قصة حب ربطتهما حتى آخر حياته. وفي نفس الليلة وأثناء الحفلة الراقصة التي أقيمت على شرف بوليفار، وهو الحفل الذي حضره أبرز شخصيات مجتمع كيتو من الرجال والنِّساء، في هذا الحفل دعاها بوليفار لترقص معه، وكان رقصاً أشبه بحديث، حُبّ صامت يفيض بالمشاعر الدافقة. ومنذ هذه اللحظة تحوّلت مانويلا إلى الصديقة المخلصة الدائمة للمحرّر العظيم طوال حملاته في جنوب القارة الأمريكية. وفي موقف تاريخي مشهور يعتبر أنصع برهان على صدق حب مانويلا لبوليفار: وهو إنقاذه من محاولة لاغتياله في بوجوتا (عاصمة كولومبيا). كان أعداء بوليفار من المتآمرين على هدم **اتحاد كولومبيا الكبير «ويشمل فنزويلا ونويڤا چرانادا وإكوادور»، تحت زعامة نائب بوليڤار «سانتاندير»، يعملون** على التخلص من بوليفار لأنه كان رمزاً لاتحاد هذه الدول. وعندما دخل المتآمرون السفّاحون غرفة نوم بوليفار لم يجدوه بها، ذلك أن مانويلا الحصيفة المستيقظة كانت قد تنبَّهت لحركة غريبة في المنزل بسبب نباح الكلاب، فهداها حدسها الداخلي أن توعِز إلى بوليفار كي يقفز من النافذة بسيفه، وبالتالي تحقق له النجاة بحياته. وفشل المتآمرون الانفصاليون في مؤامرتهم

الخسيسة. ومن هنا جاءها لقب مُحرِّرة المُحرِّر، لأنها حرَّرت بوليفار من الموت.

ونحن هنا نحب أن نذكر رسالة أرسلها إليها بوليفار، والرسالة تعتبر وثيقة حب عميق لرفيقة رحلة كفاحه في أمريكا الجنوبية. يقول بوليفار في خطابه: «لا أحب أحداً غيرك، ولا أعشق أحداً، لأن مذبح الحب الذي تسكنين فيه لن يدنس حرمته معبودٌ آخر، أو صورة أخرى، لقد حولتني إلى عابد للإنسانة الجميلة التي هي أنت.. مانويلا». والرسالة كما نرى مرآة صافية تعكس بجلاء ووضوح تام قوة مشاعر حب بوليفار تجاه مانويلا. ولو حاولنا البحث عن دوافع هذا الحب العميق لوجدنا له ما يبرِّره. فقد كانت مانويلا ثورية بطبعها، مثقفة ثقافة طيبة، كما كانت تعتنق مبادىء بوليفار الثورية. وقد أدَّت مرافقتها المستمرة لبوليفار في حملاته في جنوب القارة الأمريكية أن ترتدي أحياناً زي الضباط، وأن تحلق شعرها على طريقة الرجال كما لو كانت جورج صاند أخرى من أمريكا اللاتينية، وولاؤها المخلص لبوليفار أكدته مواقف كثيرة، من أبرزها إنقاذه من محاولة اغتياله في بوجوتا. ورغماً عن هذا فقد كان لها بالطبع نزواتها الخاصة. إلاَّ أنها بنقائصها الطفيفة كانت دائماً العاشقة المخلصة التي تصفّيه كؤوس الحب والهَيام. وقد عاشت مانويلا بعد موت بوليفار في عام ١٨٣٠م. عاشت بعيداً عن الأضواء تجترّ ذكريات سعيدة ماضية، وتكسب قوتها اليومي عن طريق صناعة الحلوى وبيعها، وكانت ترافقها عبدتان مخلصتان إلى أن وافتها المنية عام ١٨٥٦م.

بوليفار فيلسوف وأديب: الحق أن قراءات بوليفار المتعمقة في جون لوك، وفولتير ومونتسكيو، وروسو، وهيوم وهوبز، بالإضافة إلى مئات من الكتب في الأدب، والتاريخ والفن العسكري. وكل هذا صنع منه الأديب البارع، والفيلسوف المستبصر في مشاكل عصره.. وقراءاته لم تنقطع كما يذكر ياوره الخاص أوليبري، وحتى أثناء المعارك الحربية عندما كان يجد فترات ضئيلة للراحة والاستجمام. كانت القراءة وسيلته للتخلص من التعب الجسماني. كان لا بدّ إذن لهذه القراءات المتنوعة أن تعطي أحسن ثمارها في العقل المتفتح الذي يتشرَّب المعرفة في شوق ولهفة.

وبعد هذه المقدمة نستطيع أن نطرح السؤال الآتي:

كيف كانت رؤية بوليفار الفلسفية؟ هل كان له مذهب فلسفي خاص؟ ذلك أن المنطق الطبيعي يدعونا لأن نفترض: بأن القراءة المتعمقة الدائبة في الفلسفة والأدب لقارىء ذكي، لا بد وأن تصنع له موقفاً فلسفياً محدداً من العالم؛ فما هو هذا الموقف؟ وما هي طبيعته؟ إن صح التعبير؟ ونحن هنا لا ندَّعي أننا سنستخرج لبوليفار فلسفة أو موقفاً فلسفياً لم يصطنعه.

ولكن القراءة المعمقة في خطاباته الكثيرة تعطي فكرة واضحة عما يمكن أن نسميه مزيجاً من **البراجماتيكية والمثالية**.

والبراجماتيكية تبدو الفلسفة المناسبة لرجل يعيش الواقع دون مبالغات.

(البراجماتيكية) تتناسب مع طبيعة العسكري الناجح الذي

يحيط بتفاصيل الواقع ويستخرج منه أحسن النتائج.

وبوليفار القائد العسكري الناجح كان ولا بد أن تدعمه فلسفة براجماتيكية. وهذا يمكن أن نلحظه بوضوح في رسالة جمايكا التي حررها، والتي تعكس رؤية سياسية عميقة وواقعية، هي بلا شك ثمرة التجربة التي حصَّلها بوليفار.

وإذا كانت القراءة تعطي الإطار النظري للأفكار، فإن الخبرة يقع على كاهلها عبء ملء محتوى هذا الإطار.

والجانب الآخر من رؤية بوليفار الفلسفية: وأعني به **الجانب المثالي** يرجع إلى قراءاته في فلاسفة الأخلاق: فالمعروف أن المثالية هي أنسب المذاهب الفلسفية للجانب الأخلاقي، لأنّ الدراسات الأخلاقية منذ القدم كانت وما زالت تبحث عن المثل الأعلى للسلوك الإنساني. والسؤال الذي يبرز الآن هو:

كيف وُفِّق بوليفار لهذا المزيج الفلسفي الذي قد يبدو متناقضاً: وهو الجمع بين البراجماتيكية والمثالية في رؤية فلسفية واحدة.

والإجابة على هذا السؤال ليست عسيرة. فالبراجماتيكية تتناسب مع طبيعة الاستراتيجية العسكرية: لأنها تنطوي على رؤية واقعية تؤدي إلى حلول عملية. وهذا يتفق تماماً مع طبيعة العمل العسكري الذي يدرس واقع المواقف وما يمكن استخراجه منها من نتائج إيجابية ناجحة.

المذهب البراجماتيكي: ينظر إلى الأشياء من منظار نتائجها

العملية وهذا من مستلزمات العمل العسكري الناجح. إلاَّ أن تنفيذ الخطط العسكرية ونجاحها: يتطلَّب رجالاً ذوي مُثُل عُليا مسلحين بالفضائل الأخلاقية، وذلك كي تتحقق النتائج العملية المرجوة لعمل عسكري مظفّر. ومن هنا يأتي منطق الجمع بين البراجماتيكية والمثالية.

والتفسير في جلاء ووضوح أكبر: هو أن الالتزام بالبراجماتيكية، يُعطي النتائج العملية الناجحة في الحروب. ولكن تنفيذ هذا يتطلّب رجالاً تحكمهم مبادىء أخلاقية عالية تقوم بدور الضمان لتنفيذ الخطط العسكرية. هنا تلتقي البراجماتيكية مع المثالية لتصنع رؤية بوليفار الفلسفية. وهو موقف ليس غريباً على رجل تضلّع في قراءة فلاسفة الأخلاق.

بوليفار كأديب: في رأينا: أنّ المصدر الحقيقي لتتبع قدرة بوليفار الأدبية: هي خطاباته التي تُعتبر وثائق حية ناطقة ببراعته كأديب. وكذا أسلوبه الذي ينطوي على جمال لا نظير له.

والأمثلة على هذا كثيرة ومتعددة نذكر من بينها فقرات من خطابه لمعلمه سيمون رودريجز عندما علم بوجوده في أمريكا الجنوبية يقول: «آه يا معلمي لقد رسمت خطواتي، لقد صُغت روحي على الحرية والعدالة، على كل ما هو جميل وعظيم...»، وكذا رسائله لصديقته مانويلا سانيز، وأيضاً خطبه الكثيرة التي توضِّح عمق استفادته من خطباء اليونان والرّومان. وهذه قدرة أخرى من قدرات بوليفار التي صنعتها معرفته الموسوعية في الأدب والفلسفة والتاريخ والخطابة.

والـذيـن أسعـدهـم الحـظ بـالاقـتـراب مـن بـوليفـار سـواء بالصداقة، أو بالاشتراك معه في معاركه الظافرة، يستطيعون أن يقولوا دون خشية الوقوع في خطأ التقدير: بأنَّ بوليفار لو تفرغ للعمل الأدبـي لكان أديباً بارعاً، ولو أعطى وقتاً أكبر للفلسفة لكان فيلسوفاً عميقاً، ولا سيما في الفلسفة السياسية، والذين تجذبهم شخصيته كعسكري، ورجل دولة يجدون فيه الصبغتين في أبرز ملامحهما. وهو ما جعل منه وبحقّ نموذجاً للمثقف الكامل.

وهذا ما وضع المؤرخين في حيرة من أمرهم. كيف يؤرخون لحياته؟ ومن أين يبدأون؟! لأن كل جانب من شخصيته الخصية يحتاج مؤرخاً متخصصاً في فرع من فروع المعرفة. لهذا زادت الكتابات عنه وتنوعت دون أن ينفد معيينها. ورغماً عن الكتب الكثيرة التي أحاطت بالكثير من جوانب حياته، فإنه يظل دائماً لغزاً يُحير المؤرخين الذي يتصدّون لكتابة تاريخ حياته، وذلك لتعدد جوانب شخصيته وعمق أبعادها الثقافية.

* * *

نظـرة عامـة
في إنجازات بوليفار العظمى

أولاً ــ قانون الإصلاح الزراعي: مما لا شك فيه أن من أهم إنجازات بوليفار: قانون الإصلاح الزراعي، وأهم ما ينطوي عليه هذا القانون: هو توزيع الأراضي التابعة لفنزويلا على أفراد الشعب الفنزويلي، الذي كان غالبيته من الجنود العائدين من

حرب الاستقلال. وقد أكد هذا القانون حماية الملكية بعد توزيع الأراضي على المواطنين، كما كان القانون يستهدف بالدرجة الأولى إصلاح أحوال الهنود الذين كان يستغلهم المستعمر الإسباني ويستخدمهم كرفيق للأرض.

ثانياً ــ إلغاء الرّق: وكي يصبح قانون الإصلاح الزراعي كاملاً وفعّالاً كان لا بد أن يسانده ويرافقه **قانون لإلغاء تجارة الرقيق** الذين أُحضروا من أفريقيا لزراعة الأرض. وكان هذا القانون أحسن مكافأة لهم على اشتراكهم الفعالّ في حرب الاستقلال. وبالطبع فقد وجد القانون أول الأمر رفضاً من الأقلية البيضاء الأرستقراطية. إلاَّ أن الزمن صانع المعجزات، تولّى تحويل القانون إلى حقيقة واقعة بعد موت بوليفار وذلك في عام ١٨٥٤م في عصر حكومة الرئيس خوزيه جريجوريو موناجاس.

ثالثاً ــ وحدة أمريكا اللاتينية هدف بوليفار الأكبر: لا شك أن من أبرز ما قام به بوليفار من إنجازات كبيرة بعد تحرير جزء كبير من قارة أمريكا الجنوبية هي جهوداته المكثَّفة لتوحيد دول أمريكا اللاتينية. وذلك انطلاقاً من مبدأ **أن الوحدة هي أكبر ضمان لاستقلال هذه الدول**، ولهذا فقد حثَّ وزير خارجيته بدرو جوال للإعداد لمؤتمر بنما، وهو المؤتمر الذي حضرته معظم دول أمريكا، وكان هدفه لَمّ شمل هذه الدول. ورغماً عن أن نتائج المؤتمر لم تكن عظيمة، إلاَّ أنه حقق نجاحاً جزئياً كان من ثماره: إقامة معاهدة الاتحاد الدائم والكونفدرالي الموقَّع في بنما عام ١٨٢٦م بين دول اتحاد كولومبيا «فنزويلا وكولومبيا

وإكوادور وبيرو، وبوليفيا»، وبين دول أمريكا الوسطى والمكسيك. رغماً عن هذا فقد كان المؤتمر نواة فيما بعد لإنشاء منظمة الدول الأمريكية الحالية.

رابعاً ــ اهتمام بوليفار بالتعليم: وبطلنا المقدام الذي كان تعليم أبناء وطنه يُمثِّل شغله الشاغل وقلقه الدائم، أحضر معه من لندن ماكينة طباعة، وهذا يعتبر بمقاييس عصره حدثاً تاريخياً هاماً. وكان يقول في تكريم العلم: «إن الرجل الذي يُضحّي بوقت فراغه ليكرِّس نفسه لعمل شاق: هو تنشئة المواطنين كي يدافعوا عن الدولة وينيروا لها الطّريق، مثل هذا الرجل يستحق شكر الدولة وعرفانها له». وكان بوليفار يسبق عصره قائلاً: «إنّ من واجب الدولة الإنفاق على التعليم، وأن تُعطي فرصة متكافئة لكافة مواطنيها بحيث تصبح الثقافة في متناول الجميع».

والحق أن هذا الجهد الهائل من بوليفار في تحرير قارة أمريكا الجنوبية، وكذا محاولاته الدائمة للحفاظ على وحدة اتحاد كولومبيا الكبير. هذا الاتحاد الذي انهار على يد الانفصاليين، كل هذا أعطى بوليفار الانطباع الأخير بأنّه مِثل من يحرث في البحر.

موت بوليفار: مات بوليفار في السابعة والأربعين من عمره بعد أن هزمه السُلّ الرئوي. مات البطل مُنهكاً بعد رحلة طويلة في الكفاح والنضال على مدى عشرين عاماً، قدَّم فيها حياته، وشبابه، وصحّته، وثروته هدية لتحرير أمريكا الإسبانية.

وفي ذكرى مرور ما يزيد على مائتي عام على ميلاد

المحرِّر العظيم: لا يسعنا في هذه العُجالة إلاَّ أن نُهدي لروحه الطاهرة تحية إعجاب وتقدير، إعجاب بدوره المجيد في تحرير أمريكا اللاتينية، وبدوره الإنساني في تحرير العبيد وإلغاء الرِّق، ورفع كرامة المواطن اللاتيني الأمريكي، وكذا العمل دون كلل أو ملل على وحدة أمريكا اللاتينية، تلك الوحدة التي كان يراها ضرورةً دفاعية لشعوب تعيش في نفس المنطقة وتتعرض لمخاطر مشتركة، كما تربطها أصول ثقافية مشتركة. وكلها أمجاد ترتفع ببوليفار ليس فقط إلى مستوى الأبطال العظام، بل أيضاً إلى كبار الساسة والمصلحين في العالم.

● ● ●

أسماء مشرقة
في سماء فنزويلا المستقلة

أسمـاء مشرقـة
في سماء فنزويلا المستقلة

أنطونيو سكري Antonio Sucre

بطل معركة أياكوتشو الحاسمة في استقلال أمريكا الجنوبية

مولده وإعداده العسكري: ولد البطل العظيم في الثالث من فبراير من عام ١٧٩٥م في مدينة كومانا الفنزويلية، وكان أبوه فيسنتي سكري ملازماً بالجيش الملكي التابع لإسبانيا، وقد أصبح هذا الأب فيما بعد عميداً بجيش الجمهورية الفنزويلية الوليدة، وكذا بطلاً من أبطال استقلالها. لا غرابة إذن أنْ يتجه الابن أنطونيو إلى الناحية لعسكرية في دراسته ليسير في الخَط الذي سار فيه أبوه، وهو اتجاه برز فيه بحيث كان بجدارة قائداً لأكبر معارك استقلال قارة أمريكا الجنوبية، وأعني بها معركة أياكوتشو الشهيرة.

وقد ماتت والدته وهو في السابعة من عمره، وعاد والده للتزوج مرة أخرى بحيث كان عدد إخوته من أمه ومن زوجة والده الجديدة، أقول وصل هذا العدد إلى ثمانية عشر، وقامت الزوجة الثانية برعاية هذا لعدد الغفير من الأولاد بنبل وعناية فائقة. ومات ستة من هؤلاء الإخوة في حروب الاستقلال.

وقد بدأ أنطونيو يتعلم الكتابة والقراءة في مدينة كومانا مسقط رأسه كما بدأ في محاولة تنمية معلوماته في الرياضة ورسم الخرائط والطبيعة: وهي المواد اللازمة لطالب يتجه إلى الإعداد العسكري. وقد قام والده في العماد بقيده بمدرسة المهندسين، وهي مدرسة كان يديرها عميد إسباني يدعى توماس ميريس (Tomas Mires)، وقضى البطل بالمدرسة ما يقرب من خمس سنوات كانت حاسمة في إعداده العسكري الكامل.

نشاطه العسكري: في مايو عام ١٨١١م يقع على كاهله رئاسة سلاح المهندسين بجزيرة مرجريتا، ويتم ترقيته بعد ذلك إلى رتبة ملازم أول، وفي عام ١٨١٢م اضطلع بمهمة رئاسة سلاح المدفعية بمدينة برشلونة الفنزويلية، وقد عمل بعد ذلك تحت قيادة البطل الفنزويلي الشهير الجنرال سانتياجو مارنْيُو.

إلاَّ أنه عندما قرر سيمون بوليفار بأنْ يجعل من جوايانا الفنزويلية مسرحاً لعملياته العسكرية لتحرير فنزويلا، انضم إليه عندئذ أنطونيو سكري، حيث ساهم بدور نشيط في تحرير أنجستورا «المعروفة حالياً باسم مدينة بوليفار» وفي ١٩ من ديسمبر عام ١٨١٧م عينه بوليفار محافظاً لجوايانا وكذا قائداً لمنطقة الأورينوكو السفلى.

في عام ١٨٢٠م فَوضه بوليفار للسفر إلى جزر الأنتيل المحايدة للحصول على أسلحة وذخائر للجيش، فعاد من مهمته ومعه أربعة آلاف بندقية، والكثير من الذخائر ومعدات الحرب: مما كان عاملاً هاماً في الانتصار في معركة كارابويو «أحد معارك

الاستقلال الحاسمة في فنزويلا».

ولذلك قال عنه بوليفار في مناسبة من المناسبات (إنَّه من أحسن ضباط الجيش الذين يستكملون كُل مقومات الإعداد العسكري هذا فضلاً عن صفاء نفسه).

معركة أياكوتشو (Ayacucho) الخالدة: لعل أبهى أعماله العسكرية كان بلا جدال نتصاره في معركة أياكوتشو التي قادها بنفسه، وأهمية هذا الانتصار ليس لأنه كتب وثيقة تحرير البيرو، بل إن دلالة هذا الانتصار الحاسم يأتي مِنْ أَنه كان بمثابة تحرير لكافة دول أمريكا الجنوبية، ذلك أَن خَيْرة رجالات الجيش الإسباني المحتل كانت تتمركز في البيرو، وكان أنطونيو سكري على رأس جيش لا يزيد عدد أفراده على ستة آلاف جندي، وأغلبهم لم يكن يَأْلف الحرب في مرتفعات مثل جبال الأنديز البيروانيّة. وقع على كاهله مواجهة الجيش الإسباني الذي كان يزيد على عشرة آلاف جندي، كما كان تحت قيادة أكثر من أربعة عشر جنرالاً من بينهم نائب الملك. وفي هذه المعركة الشهيرة المعروفة باسم أياكوتشو، يقوم القائد الفنزويلي: أنطونيو سكري في سرعة وثقة وفي ضربة مفاجئة حاسمة، يقوم بهزيمة الجيش الإسباني: ويُسلِّم إليه جنرالات الجيش الإسباني سيوفهم، وكذا وثائق المِلْكية لأراضي البيرو، وهي وثائق يمتد عمرها إلى أكثر من ثلاثمائة عام: هي عمر الفاتح الإسباني على الأرض الأمريكية آنذاك.

وقع فخر هذا المجد على أكتاف شاب لا يزيد عمره على

التاسعة والعشرين، هو البطل أنطونيو سكري: رجل المعارك المنتصرة في ملحمة استقلال أمريكا الجنوبية.

وقد وضع هذا الانتصار الذي يكتبه التاريخ بحروف من نور نهاية للوجود الإسباني في أمريكا، ومُنح سُكري بعدها لقب مرشال أياكوتشو العظيم. كما كان استقباله في كل مكان استقبال الأبطال. وفي ٢٦ مايو عام ١٨٢٦م انتُخب أَول رئيس لجمهورية بوليفيا، وأثناء رئاسته أَبدى من الشواهد ما يعطي بوضوح على أَنه ليس فقط قائداً عسكرياً مُحنكاً وإنما أيضاً رجل سياسة ممتاز. ويستمر في رئاسته للجمهورية مدة عامين يستقيل بعدهما ليعود إلى كيتو «عاصمة الأكوادور حالياً» كي يستقر مع زوجته في بيت اشتراه، ويستمر في هذه السعادة الهانئة لمدّة أحد عشر شهراً كان نتاجها الابنة الوحيدة التي أنجبها وماتت بعد ذلك.

ويغادر كيتو ليمارس مهامه كنائب بكونجرس اتحاد كولومبيا الذي يبدأ عقد جلساته عام ١٨٣٠م، وفي جهوده المكثفة داخل الكونجرس كان يحاول دائماً الحفاظ على وحدة اتحاد كولومبيا، وفي محاولة أخيرة لإنقاذ هذا الاتّحاد نجده يقبل الاشتراك في وفد يسافر إلى فنزويلا حيث كانت تشتد الدعوة إلى فصل فنزويلا عن هذا الاتحاد، إلاَّ أَن مفاوضاته باءت بالفشل فيضطر للعودة إلى بيته في كيتو.

خاتمة فاجعة للبطل: في الرابع من يونيو عام ١٨٣٠م بينما كان سكري يعبر بعض الغابات الكثيفة في جبال برّويكس

(Berruecos) يرافقه بعض الخدم، أطلق عليه مجهولون الأعيرة النارية وقع البطل مضرجاً بدمائه ضحية اغتيال نذل خسيس، اغتاله أصحاب المطامع والمطامح السياسية. ووصلت الأنباء إلى بوليفار فأصابته بحزن عميق على الصديق ورفيق السلاح وقائد معركة النصر الكبرى، في أمريكا الجنوبية.

تَحية لروح البطل النبيل الذي أعطى بمثاليته وشجاعته قُدوةً للأبطال في جميع العصور.

* * *

سيمون رودريجز Simon Rodriguez
سُقراط أمريكا اللاتينية

أحب أن أُحدث القارىء عن واحدٍ من أبرز المعلمين الثوريين في أمريكا اللاتينية، والذي استحق بجدارة لقب سقراط أمريكا، لابتداعه منهجاً تعليمياً جديداً يتفق مع طبيعة القارة الأمريكية ومواضعاتها الاجتماعية والتاريخية.

مولده ونشأته: ولد سيمون رُودريجز في كاراكاس عام ١٧٧١م، وكان ينتمي لعائلة متواضعة من الناحية الاقتصادية وإن كانت تتمتع بإعداد ثقافي راسخ القدم، وخلال سنوات عمره الأولى نجده سيراً وراء فضوله المعرفي يَقرأ كُتب أصحاب دائرة المعارف الفرنسية، ويصل إلى يديْه كتاب «إميل» للفيلسوف جان جاك رُوسُّو. ولعلّ قراءته في رُوسُّو على وجه التحديد قد أيقظ في نفسه منذ البداية الاهتمام بالتعليم بحيث » أصبح هدف حياته الرئيسي. ويقوم مجلس بلدية كاراكاس بتعيينه مُعلماً

بالمدرسة الابتدائية. وهذا المنصب الجديد أحيا في نفسه نزعته التجديدية لإصلاح التعليم، فقام بالإعداد لتنفيذ منهج تعليمي جديد يستهدف إجراء تَغيير جَذْري في نظام التعليم الابتدائي الذي لم يَكنْ يتمتع آنذاك بالاهتمام والرعاية اللازمة. وكان مشروعه التعليمي الجديد بتضمن إنشاء مجموعة من المدارس الابتدائية تحت إدارة عامة واحدة: بحيث يقوم مُدرس المدرسة الرئيسية بدور المُدير والمفتش، كما يَستفيد من الدراسة بهذه المدارس البيض والمُلونين وذلك في إطار المساواة التي يفرضها الدين المسيحي بين المواطنين. كانت خُطته الرئيسية في التعليم إيجاد ما يمكن أَنْ ندعوه بالتعليم الموضوعي: الذي يتجه أساساً وبالدرجة الأولى إلى تحقيق الاستفادة للطالب، بحيث يَشمل اللعب والاستمتاع. وهو اتجاه جَديدٌ غير مألوف في عصره، اتّجاه سبق به زمانه. فالمعروف حالياً أَن أَحْدث مدارس علم النفس تُوصي بالجَمْع بيْن التعليم واللعب: أو بمعنى آخر بين التعليم والاستمتاع. إلاَّ أن مشروعه التعليمي الجديد لَمْ يلْقَ الاستجابة الكافية من السلطات، ولهذا فقد قَدم استقالته من وظيفته عام ١٧٩٥م.

إلاَّ أن الحدث الهام في حياة سيمون رودريجز كان بلا شكّ عندما عَهِدَ إليه جَد بوليفار أَنْ يتولى تعليم حفيده الذي فقد والديه منذ حداثته. وهنا أُتيحت الفُرصة الذهبيّة لسيمون رودريجز لتطبيق منهجه التّربوي الجديد على الطفل سيمون بوليفار. نجح في أَنْ يُشرب تلميذه الصغير مبادىء الحُرية والعدالة. زرع في نفسه هذا التعطّش الدائم للمعرفة. هُنا كان

دَوره الهام في أن يُنمي ي نفس الطفل هذه الروح الثورية العادلة. وهو ما اعترف ب فيما بعد سيمون بوليفار عندما كان في أوج مجده: يَتربّع على عرش تحرير معظم دول قارة أمريكا الجنوبية. وفي هذا الصدد تحضرنا عبارة من رسالة بوليفار إلى معلمه يقول فيها: (آه يا معلمي وصديقي، لقد قمت بصياغة روحي على حب العدالة والحرية، على حب كل ما هو جميل وعظيم). وفي عام ١٧٩٧م تقوم ثورة في فنزويلا يتزعمها جوال وصديقه إسبانيا. وكانت لثورة تهدف إلى إقامة نظام جمهوري في فنزويلا يستقل عن إسبانيا التي كانت تحتل فنزويلا آنذاك. ويظهر اسم سيمون روديجز في قائمة المشتركين في هذه المؤامرة الثورية، ويتم القبض على أعضاء المؤامرة ويُودَع الكثير منهم في السجون، وكان من بين هؤلاء سيمون رودريجز، إلاّ أنه قد أُطلق سراحه فيما بعد لعدم عثور السلطات الإسبانية على الأدلة الكافية ضده. ومع هذا فإنه يصمم في قرارة نفسه على مغادرة فنزويلا، ذلك أنه رغماً عن إطلاق سراحه إلاّ أنه كان معروفاً بآرائه الثورية الإصلاحية، وهو ما يمكن أن يجعله هدفاً سهلاً للسلطات. لم يكن هناك مفر إذن من أن يغادر فنزويلا خفية عن عيون الرقباء وإمعاناً في التكتم غير اسمه إلى صموئيل روبنسون.

سفره إلى أوروبا: يسافر إلى فرنسا ويستقر في باريس لينهل من منابع المعرفة الثورية، وكانت مدينة النور آنذاك تمثل مركز الثقافة في أوروبا. وفي باريس يشترك مع مواطن لاتيني آخر هو المكسيكي: فراي سرفاندو دي ماير (Fray Servando

de Mier)، في إنشاء مدرسة لتعليم اللغة الإسبانية في مدينة بايونا (Bayona) الفرنسية وإسهاماً من سيمون رودريجز في نشاط المدرسة الثقافي يقوم بترجمة رواية للأديب الفرنسي شاتوبريان (Chateaubriand) إلى الإسبانية تدعى أتالا (Atala). إلاَّ أن عمر المدرسة لا يطول لسفر شريكه في إنشائها إلى روما، وهنا يلتقي بمصادفة أخرى هامة: مصادفة من تلك المصادفات التي تصنع مصائر الرجال، يلتقي بتلميذه بوليفار في باريس، وهذا اللقاء الجديد يجدد ويوثق من علاقته الروحية بتلميذه القديم، فيعود ليضيء له طريق قراءاته، يحفزه لقراءة روسو ومونتيسكييه وفولتير ولوك وغيرهم من عمالقة الفلاسفة في عصره. كان يقف من تلميذه في موقع المرشد الهادي: يضع قدمه على أول الطريق ليسير فيه بوليفار مستكملاً المسيرة بحدسه الداخلي. وهذا الوجود المستمر في صحبة بوليفار ترك بصمات أفكار سيمون رودريجز في شخصيته من أصبح فيما بعد محرر فنزويلا وكولومبيا وإكوادور والبيرو وبوليفيا.

ويغادر بوليفار فرنسا في طريقه إلى فنزويلا ليبدأ مشروعه العظيم في تحرير معظم دول قارة أمريكا الجنوبية، ويبقى معلمه في باريس يستكمل خبراته ويثقف نفسه، يسافر دائماً، هو المعلم المثقف، وهو القارىء الدائب، وذلك على مدى ستة عشر عاماً قضاها في أوروبا عاملاً متجولاً دارساً، يشغله دائماً موضوعان رئيسيان هما (التعليم ومصير الحرية في أمريكا). وفي عام ١٨٢٣م يقرر أخيراً العودة إلى أمريكا مرة أخرى، ويسافر على وجه التحديد إلى قرطاجنة في كولومبيا. وعندما يحاط

سيمون بوليفار علماً بوصول صديقه ومعلمه القديم سيمون رودريجز إلى أمريكا: يكتب إلى نائبه سانتانديو بالترحاب بمعلمه القديم وتهيئة وسائل الراحة له. كان بوليفار آنذاك رئيساً لجمهورية اتحاد كولومبيا الكبير. إلاَّ أن لقاء بوليفار بمعلمه القديم يتم في ليما عاصمة البيرو. وكان لقاء الصديقين يفيض بمشاعر الود والمحبة، لم ينس بوليفار صديقه ومعلمه القديم الذي غذى روحه بالأفكار الثورية، وتكريماً له يقدم له منصب مدير التعليم العام. ويتاح للمربي الثوري سيمون رودريجز أخيراً أن ينشىء مدرسة أحلامه النموذجية تحوطه صداقة بوليفار وعطف القائد سكري، بالإضافة إلى الموارد المالية المتاحة.

وكان منهج المدرسة الجديدة يقوم على جمع الأطفال من الجنسين في مدرسة واحدة: حيث يتعلم الأطفال الذكور البناء والنجارة والحدادة، وتتعلم الإناث كل ما يتعلق بإدارة شؤون المنزل، وفي هذه المدرسة المثالية يمنح التلاميذ المسكن والملبس والغذاء والدواء. كما يتلقون التعليم الأخلاقي والاجتماعي والديني. ولم يطمئن أولوا الأمر لهذا المنهج التعليمي الجديد، لم يكن أباء التلاميذ يرغبون أكثر من التعليم التقليدي الذي لا يتجاوز تعليم الأبناء القراءة والكتابة وبعض مبادىء الدين، لهذا لم يجد المنهج التعليمي الثوري الجديد صدى الاستجابة والقبول، من الآباء وأولي الأمر، مما اضطر سيمون رودريجز إلى الاستقالة من منصبه كانت آراؤه التعليمية سابقة لزمانها. ومن عباراته المضيئة قوله: «لنفكر في الحصول على الخبز، على العدالة، والتعليم والاعتدال» في هذا ينبغي أن

يفكر الأمريكيون بدلاً من التنازع والتخاصم. وفي مناسبة أخرى يقول (إن ثورة سياسية تتطلب ثورة اقتصادية) وفي مناسبة ثالثة يقول عن الحكومة (إن الحكومة ينبغي أن تمارس وظيفتها كأب عام). وعندما يموت سيمون بوليفار تتبخّر الكثير من أحلام سيمون رودريجز: فقد فَقَد الصديق الذي كان يستمع له دائماً بمحبة وتقدير. لم يبق أمامه مفر من أن يطبع أفكاره في التعليم لعل أحداً يقرأها في المستقبل ويستفيد بتطبيقها. ويستمر في تجواله المستمر، ينتقل من مدينة إلى أخرى: من البيرو إلى شيلي إلى بوليفيا: محروماً من التقدير والاحترام الذي يستأهله، ولعله هو نفسه قد أدرك هذه الحقيقة المؤلمة حين قال: (إن رغبتي الشديدة في تعليم الآخرين أكثر ممّا تعلّموه جعل القليل من الناس يفهمني، والكثير يحتقرني).

أخيراً يموت المعلم الثوري لأمريكا، يموت في النيسان في عام ١٨٥٤م، إلاَّ أن أفكاره التربوية تبقى دائماً مشعلاً مضيئاً لرواد التعليم من أبناء أمريكا اللاتينية.

* * *

بـــدرو جـــوال **Pedro Gual**
داعية تكامل أمريكا اللاتينية

وُلد الدبلوماسي الفنزويلي الشهير في ١٧ يناير من عام ١٧٨٣م بمدينة كراكاس، وهي نفس السنة التي ولد فيها محرر فنزويلا وإكوادور وكولومبيا والبيرو وبوليفيا سيمون بوليفار. ولعل القدر الذي جمع مولد الشخصيتين الشهيرتين في عام

واحد قد جمعا بينهما أيضاً بأواصر الصداقة والمودة بحيث كان بدرو جوال صوت بوليفار ومبعوثه إلى دول أمريكا اللاتينية.

نشأته: من الجدير بالذكر أن والد بدرو: خوزيه أجناسيو جوال (Jose Ignacio Gual) هو شقيق مانويل جوال (Manual Gual). والأخير كان اسماً معروفاً لسلطات الاستعمار الإسباني آنذاك: فقد كان يمثل الشخصية الرئيسية في ثورة عام ١٧٩٧م ضد المستعمر الإسباني وهي الثورة التي شاركه في إشعالها خوزيه ماريا إسبانيا، الذي كان أيضاً صديقاً لأسرة جوال، ولعل هذه الصداقة كانت من العوامل التي دعت السلطات الإسبانية للنظر لأسرة جوال بعين الترقب والحذر، وذلك لماضي الأسرة الثوري، وكذا انغماسها في إشعال المقاومة ضد التاج الإسباني، ولعل من المواقف الدرامية المؤثرة في حياة بدرو جوال أنه قد تيسر له مشاهدة الثائر خوزيه ماريا إسبانيا أثناء تنفيذ حكم إعدامه بأمر المستعمر الإسباني، وذلك حتى يكون عبرة لغيره من الثوار. ترك هذا المنظر في نفس الصبي بدرو أثراً عميقاً لا يُمحى، وهو ما جعله يتمسك بنفس الخط الثوري الذي سار فيه من قبل عمه مانويل جوال وصديقه خوزيه ماريا إسبانيا. والحق أن اشتراك بعض أفراد أسرة جوال في ثورة عام ١٧٩٧م قد جعل منها هدفاً لمطاردة وتعقب الحاكم الإسباني. ونعود إلى بطلنا بدرو فنقول: لعل إحساسه بفقدان الأمن قد دفعه إلى دراسة القانون ربما ليعطي لنفسه حماية سيكولوجية تعطيه الإحساس بالأمان، وقد برّز في دراسة القانون بمثابرته وجديته وذكائه حتى حصل على الدكتوراة، ولم يقف تعطشه وفضوله

المعرفي عند هذا الحد، فقد دفعه إلى التعمق في قراءة الفلسفة والسياسة وكذا دراسة اللغتين الإنجليزية والفرنسية حتى وصل فيهما إلى مستوى لا مزيد عليه لمستزيد. وقد خدمته هذه الأسلحة الثقافية المتنوعة بأن جعلت منه فيما بعد وزير خارجية سيمون بوليفار. كان وزيراً لخارجية اتحاد كولومبيا الكبير الذي كان يشمل آنذاك فنزويلا وكولومبيا وإكوادور وبوليفيا والبيرو. نعود مرة أخرى إلى سنوات حياته الأولى فنقول: بأنه من المحقق أن سمعته كثورى وكذا قرابته من الثائر مانويل جوال، كل هذا هدد حياته في فنزويلا مما اضطره للهرب إلى جزيرة ترينيداد، ولم يكن أمامه مفر من العمل كمحامي كي يكسب قوت يومه، وذلك حتى عام ١٨١٠م، وهو نفس التاريخ الذي اندلعت فيه الثورة في فنزويلا ضد الاستعمار الإسباني. ويعود إلى فنزويلا عام ١٨١١م ويعين نائباً في البرلمان، وهنا يظهر البطل الفنزويلي الشهير فرانسسكو دي ميراندا على رأس الثورة، ويصبح ميراندا رئيساً لأول جمهورية في فنزويلا، ويقوم بدرو جوال بالعمل كسكرتير له: يؤهله لذلك ذكاؤه وإخلاصه الثوري. إلَّا أن الجمهورية الأولى لا يكتب لها البقاء طويلاً، فتسقط بسبب المكائد والدسائس والمؤامرات التي كان يحيك خيوطها المستعمر الإسباني.

والحق أن فشل الجمهورية الأولى قد دفع جوال إلى الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في إطار فكرة الحصول على معونتها مما قد يمكنه فيما بعد استئناف المقاومة ضد الإسبان، ويظل مقيماً في فلاديلفيا بالولايات المتحدة

الأمريكية على مدى أربع سنوات: كان يقوم فيها بدور الممثل الدبلوماسي للثورة في فنزويلا وكولومبيا: بل إنّنا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا بأنه كان يعبر عن معظم الحركات الثورية في أمريكا اللاتينية، كان من خلال صداقاته الكثيرة وعلاقاته المتنوعة يقوم بنوع من الإعداد النفسي في الولايات المتحدة كي تساند الثورة في فنزويلا، وفي عام ١٨٢٠م يعود جوال إلى قرطاجنة بكولومبيا في الوقت الذي كان يتم فيه استقلال فنزويلا وكولومبيا. وكان صديقه بوليفار يرأس اتحاد كولومبيا الكبرى، ولم تمض فترة طويلة حتى عينه نائب رئيس الجمهورية سانتاندير محافظاً لقرطاجنة. والحق أن عمل بدرو جوال فيما بعد من موقعه كوزير لخارجية اتحاد كولومبيا كان له دلالة عميقة على المستويين السياسي والدبلوماسي. كان يتمتع بقدرة فريدة على إجراء الاتفاقيات والمفاوضات وجمع الشمل وتوحيد الجبهات سياسياً، وكذا الحصول على اعتراف الدول الكبرى بشرعية اتحاد كولومبيا الوليد. كان بمثابة وزير الخارجية ووزير الدعاية للجمهورية الجديدة، وفي هذا الصدد نجده يعطي التعليمات لسفراء اتحاد كولومبيا في المكسيك وفي أمريكا الجنوبية وفي الولايات المتحدة، وذلك كي يقوموا بإجراء الاتصالات لتأييد الاعتراف بالجمهورية الجديدة

جوال ووحدة أمريكا اللاتينية: لا شك أن أنصع الصفحات وأكثرها بهاءاً ورونقاً في تاريخ جوال هي مجهوداته المكثفة في العمل على وحدة أمريكا اللاتينية. والحق أن هذه الفكرة العبقرية كانت وليدة عقل المحرر سيمون بوليفار، وذلك انطلاقاً

من مبدأ دعم أمن هذه الدول التي كانت تشكل المستعمرات الإسبانية في أمريكا، وهي دول حديثة الاستقلال: الهدف إذن كان تجميعها في اتحاد كونفدرالي كي تواجه احتمالات أخطار الغزو من جديد وكذا حماية تكامل حُدودها. وكان جوال يقوم بدور الداعية لهذه الفكرة الحصيفة، كان أشبه بسفير متجول في دول أمريكا اللاتينية، يقوم بحث الحكومات كي تنضم إلى الاتحاد الكونفدرالي الجديد والذي كان من المفروض أن يتكون بصفة مبدئية من اتحاد كولومبيا والمكسيك والأرجنتين وشيلي وجواتيمالا. ولعلنا نستطيع أن ندرك خطورة هذا الاتحاد الكونفدرالي وأهميته إذا عرفنا أن تماسك الدول المذكورة داخل الاتحاد سوف يجعل القوى الخارجية تتردد في مهاجمة دولة واحدة على انفراد: لأن هذا سوف يجعل دول الاتحاد تتصدى للدفاع عنها. ومن المحقق أن فكرة اتحاد دول أمريكا اللاتينية كانت تداعب أفكار كثير من الثوريين والمفكرين في أمريكا اللاتينية، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر أحد المفكرين الفنزويليين الشهيرين وهو أندريز بيّو (Andres Bello) يقول في إحدى عباراته المضيئة: (إني أرى من الهام، أن الدول التي ألقت من على كاهلها نير العبودية أن تعمل على الاتحاد في هدف مشترك، وذلك في صورة اتحاد فيدرالي، كما أنه من الضروري ألا تقوم هذه الدول بتوقيع مُعاهدات منفصلة).

إلاَّ أن فكرة بوليفار عن اتحاد دول أمريكا اللاتينية الحديثة الاستقلال كانت أكثر وضوحاً وتحديداً، فهو يرى أن هذا الاتحاد سيكون كثير النفع والفائدة من حيث تأكيد استقلال هذه

الدول، وتوحيد سياستها، وتقريب شعوب هذه الدول من بعض وكذا دعم استقلالها. كان يتطلع إلى عالم متوحد. ومن عباراته الذهبية في هذا الصدد قوله : (لعله مع مرور الزمن سوف توجد دولة واحدة تضم العالم كله في اتحاد فيدرالي)، وهي نظرة مستقبلية واسعة الأفق لعلها إرهاص بميلاد فكرة العالمية والمواطن العالمي.

نعود مرة أخرى إلى مجهودات جوال في وحدة أمريكا اللاتينية، الحق أن فكرة تكامل أمريكا اللاتينية في اتحاد كونفدرالي كانت كما ذكرنا من قبل انطلاقاً من مبدأ دعى إليه المحرر سيمون بوليفار وذلك في البيان الذي أعلنه في نوفمبر عام ١٨١٤م والذي قال فيه: (بالنسبة لنا فإن الوطن هو أمريكا).

لا شك أن بدرو جوال كان المنفذ المخلص لفكرة المحرر بوليفار، وذلك من خلال دعوته بحماس وإخلاص إلى وحدة هذه الدول حديثة العهد بالاستقلال حتى تكون لها الوحدة بمثابة صمام أمن لحمايتها من تطلعات القُوى العالمية المتصارعة، وأحسن شهادة لإخلاص جوال وتفانيه في هذا المجال ما قاله عنه نائب رئيس اتحاد كولومبيا آنذاك (سانتاندير) يقول: (يبدو لي أنه فيما يتعلق بالعمل الدبلوماسي فهو يعرف الكثير، الكثير جدّاً، وكذا فإن توقعاته دائماً بعيدة النظر بحيث تستهدف الصالح العام لأمريكا).

قصة مؤتمر بنما: الذي نذكره ويذكره التاريخ بحروف من

نور هو مجهودات بدرو جوال التي بذلها من أجل الإعداد لعقد مؤتمر بنما: فقد ترك زوجته وأولاده ليتفرغ بكافة حواسه لهذا العمل الجليل، كان العمل على جمع شمل دول أمريكا اللاتينية في اتحاد كونفدرالي يلهب حماسه، وكان اجتماع هذه الدول في مؤتمر بنما، كان بمثابة لقاء كي يتمّ من خلاله الاتفاق على شروط هذا الاتحاد. ورغماً عن الصعاب التي واجهها جوال في الإعداد لهذا المؤتمر باتصالاته وصداقاته، ورغماً عن أن المؤتمر بعد انعقاده لم يعطِ النتائج المرضية المنشودة، إلَّا أن فكرة اتحاد جمهوريات أمريكا اللاتينية أصبحت دائماً حاضرة في أذهان اللاتين الأمريكيين، ولعل بعض آثار هذه الفكرة وثمارها هو ما يدعى حالياً «منظمة الدول الأمريكية، التي تضم كل دول أمريكا». وقد عاد جوال إلى منزله في بوجوتا بعد المؤتمر ليتفرغ لأسرته وليمارس مهنته القديمة (المحاماة).

العودة إلى الوطن فنزويلا: في نهاية عام ١٨٤٧م يعود جوال إلى وطنه الأصلي بعد أن اعتزل الحياة العامة، يعود إلى فنزويلا وقد تغيرت معالم الحياة فيها بعد موت المحرر سيمون بوليفار. إلَّا أنه مع ذلك يلتقي مع أصدقائه القدامى، وتحييه الجماهير أينما حل بالمحبة والتقدير اعترافاً منها بدوره في وحدة دول القارة الأمريكية، من خلال عمله المكثف المخلص كوزير خارجية دول اتحاد كولومبيا. وتمضي عشر سنوات يكرس فيها حياته ووقته لمنزله وأسرته، ألَّا أن الدبلوماسي والثوري القديم لم يستطع أن يغمض عينيه عن الأحداث التي كانت تجري من حوله. كان شيخاً قوياً في السابعة والسبعين من عمره، ومع

ذلك لم يمنعه هذا عن الاشتراك في الحياة العامة بحيث وصل إلى منصب رئيس جمهورية فنزويلا. إلاَّ أن الرجل النقي المخلص لم يسلم من الدسائس والمؤامرات التي كان يحوكها العسكريون ضده في محاولة لإجباره على الاستقالة من رئاسة الجمهورية، ولما تحقق ذلك لم يجد مفراً من مغادرة وطنه مرة أخرى ليتجه إلى الإكوادور. وهناك قابلوه بالترحاب والحفاوة الجديرة برجل كرس حياته لخدمة دول اتحاد كولومبيا. لم تكن موارده المالية تتيح له العيش في يسر ورغد، ورغماً عن أن رئيس جمهورية الإكوادور عرض عليه معاشاً يستعين به على نفقات معيشته، إلاَّ أن إباءه وعزة نفسه منعته من قبول هذا المعاش، وأمام إلحاح الأصدقاء ورجال الحكومة لم يجد بداً من الرضوخ لقبول هذا المعاش. إلاَّ أن تمتعه به لم يدك طويلاً فمات بعد أربعة شهور في ٦ مايو من عام ١٨٦٢م وهو يقترب من الثمانين.

* * *

كلمة أخيرة:

مات بدرو جوال بعد أن أعطى النموذج والقدوة لخيرة رجال الدبلوماسية في أمريكا اللاتينية، كانت ثقافته العريضة ومهارته كدبلوماسي مفاوض من عوامل النجاح الجزئي الذي حققه مؤتمر بنما بحيث يمكن أن ندعوه بجدارة واستحقاق (رائد الدبلوماسية في أمريكا اللاتينية).

* * *

أندريس بيّو Andress Bello
المشرّع الأول في أمريكا اللاتينية

وُلد المشرع واللغوي الفنزويلي الشهير في ٢٩ نوفمبر ١٧٨١م، وكان أبوه بارتلوميه بيو محامياً كما عمل أيضاً كموسيقي في كتدرائية كراكاس. ووالدته أنّا لوبيز: كانت سيّدة رصينة تتمتع بصفة الطيبة دون ضعف، وبالتواضع البعيد عن النفاق، وكان لأندريس سبعة إخوة: من بينهم أخت راهبة، كما كان خاله راهباً أيضاً: وهذا يعني أنه عاش في بيئة متدينة راسخة التدين.

تعليمه:

تلقى تعليمه الثانوي، وبعد إتمامه شرع في دراسة القانون بالجامعة الفنزويلية، أيضاً كان اهتمامه باللغات حافزاً له على دراسة اللغتين الإنجليزية والفرنسية على مستوى عال من الإجادة والتعمق، وهو ما أعطاه أثناء إقامته في لندن على مدى تسعة عشر عاماً القدرة على التردد على مكتبة المتحف البريطاني في العاصمة الإنجليزية ليطلع على روائع الفكر الإنساني، ويقوم بصياغة نفسه وإعطائها هذا اللون الثقافي المحدد. أيضاً فإن إقامته في لندن أتاحت له التردد على مكتبة مواطن فنزويلي شهير كان يقيم في العاصمة البريطانية: هو فرانسسكو دي ميراندا.

تواجده في لندن مهد له الطريق للاحتكاك بشخصيات هامة في الفكر والثقافة والسياسة، وهو ما عمق أفقه ووسع من

مداركه.

والحق أن أندريس بيو عندما خرج من فنزويلا لم يكن قد تجاوز التاسعة والعشرين من عمره. سافر إلى لندن كأحد أعضاء وفد يرأسه سيمون بوليفار. خرج الفنزويلي العظيم من العاصمة الفنزويلية وقد استكمل استعداده الثقافي بعد دراسة جامعية في القانون، وبعد تمكن من دراسة اللاتينية والفرنسية والإنجليزية، بالإضافة إلى هذا فقد كان شاعراً ناضجاً مستكملاً لمقومات الشاعر الناضج، وقد ساعده هذا الإعداد الممتاز على أن يضيف إلى ثروته الثقافية تعلم اللغة اليونانية في لندن، ووصلت معرفته بهذه اللغة إلى الحد الذي مكنه من تدريسها. وجدير بالذكر أن ضعف موارده المالية لم يمكنه من الالتحاق بالجامعات الإنجليزية، هذا وإن كان بمجهوده الخاص وقراءاته الدائبة في مكتبة المتحف البريطاني بلندن، كل هذا قد أعدَّه وصقل مواهبه على نحو جعل منه فيما بعد المشرع الأول في أمريكا اللاتينية.

زواجـــه:

وفي حياته الخالية إلاَّ من القراءة والثقافة، تعرَّف على فتاة إيرلندية هي ماري آن بويلاند (Mary Ann Boyland)، وتبادلا الحب الذي اكتمل بالزواج. وقد أعطته زوجته ثلاثة أولاد، إلاَّ أنها ماتت بعد سبع سنوات من الزوجية، وقد عاد أندريس بيو للزواج مرة أخرى بعد وفاة زوجته الأولى بثلاث سنوات ليتزوج من إنجليزية تدعى أليزابيث دَنْ (Elizabeth Dunn) والزوجة الأخيرة بالإضافة لإعطائه السعادة الكاملة قد أعطته أيضاً أحد عشر ولداً.

آثار إقامته بلندن:

الحق أن بيو في لندن قد تيسر له استكمال المقومات الثقافية لشخصيته، وقد ظهر أثر هذا التكوين فيما بعد: في كتاباته، وفي فلسفته وفي آرائه التربوية، وكذا في مفهومه المتزن المعتدل للحياة السياسية. أيضاً فإن حياته في العاصمة الإنجليزية قد أعطاه مفهوماً واضحاً لماهية القارة الأمريكية بإمكانياتها المتعددة وحدود هذه الإمكانيات، ولعل الإقامة بعيداً عن الوطن تعطي المهاجر هذه الرؤية الواضحة العميقة، رؤية وطنه من الخارج. وفي لندن التقى باللاجئين من أمريكا اللاتينية. وهذه الصلات أثمرت بإعطائه بانوراما واضحة لما يجب أن تكون عليه أمريكا اللاتينية، وكيف أن العالم الجديد ينبغي أن تتحدد ملامحه الذاتية.

عمله في لندن وشيلي:

أثناء إقامته الطويلة بلندن عمل موظفاً بالبعثة الدبلوماسية لشيلي في العاصمة البريطانية، وخلال عمله المذكور استطاع أن يكسب ثقة ومودة أعضاء هذه البعثة مما هيأ له فيما بعد الفرصة كي يعمل في شيلي على مدى ستة وثلاثين عاماً وحتى نهاية حياته.

وكانت سنوات عمله في شيلي سنوات خصبة حافلة بالإنتاج، حصاد تجربته في لندن، وثمرة قراءاته الطويلة في مكتبة المتحف البريطاني، وخبرة اتصالاته برواد الفكر والثقافة الإنجليزية على مدى تسعة عشر عاماً. خلاصة هذه الخبرات

المكثفة كان ثمرتها اليانعة كتاباته، ومؤلفاته العديدة التي تعتبر مشعلاً هادياً للفكر الأمريكي اللاتيني: ومن بينها كتبه في القانون المدني، ومبادىء القانون الدولي، وقواعد اللغة الإسبانية بالإضافة إلى كتاباته الكثيرة في صحف شيلي عن التعليم والنقد الأدبي والتاريخ والجغرافيا.

وقد حياه شعب شيلي بالتقدير والاحترام، وكان من آثار هذا تقلّده أعلى المناصب في الجمهورية الشيلية بحيث وصل إلى مدير السياسة الخارجية، كما تقلد منصب مدير جامعة شيلي ورئيس المجلس الوطني للتعليم، وأخيراً عضواً بمجلس الشيوخ الشيلي.

ومن الإنصاف أن نذكر أن شيلي وضعت بين يديه كافة الإمكانيات والموارد كي تؤتي خبراته في التعليم والتشريع والقانون ثمارها الناضجة، بالإضافة لإعطائه التقدير والتكريم حيثما ذهب وراح. وقد مات الرجل العظيم في شيلي البلد الذي أعطاه الحب والتقدير

كلمة أخيرة:

نحب أن نقول بإنصاف بأن أندريس بيو كان بحق أستاذ القانون الدولي في أمريكا اللاتينية: أستاذاً ليس بمعنى المحاضر الجامعي، ولكن الأستاذية هنا تعني توجيه القانون الدولي في القارة الأمريكية، أو بمعنى آخر يمكن القول بأنه كان له فضل السبق والريادة في صياغة القانون الدولي والمدني في أمريكا اللاتينية على نحو يتناسب مع مواضعات القارة وعاداتها، وهو

بحق خالق القانون المدني في شيلي التي اختارها موطناً له حتى نهاية حياته.

والقانون المدني الذي وضعه وخط ملامحه يطبق حالياً كنموذج في جمهوريات شيلي وكولومبيا وإكوادور وأوروجواي وهندوراس، وفي فنزويلا استخدمت مبادىء هذا القانون كنموذج يحتذى لأول قانون مدني في فنزويلا، وهو القانون الذي أعده خوليان فيسو (Julian Viso). ولعل هذا يعطيه بجدارة لقب المشرع الأول لأمريكا اللاتينية.

● ● ●

الأدب في فنزويلا:
أهم الشخصيات الأدبية المعاصرة
في الرواية والشعر

الأدب في فنزويلا:
أهم الشخصيات الأدبية المعاصرة
في الرواية والشعر

في هذه الصفحات الموجزة نحب أن نلقي الضوء على تسعة من أبرز الأدباء الفنزويليين، وكل واحد منهم يتميَّز بقسماته الأدبية الخاصة وسلوبه الذي يتفرَّد به، إلاَّ أنهم يتفقون جميعاً في صفة العالمية ذلك أن إنتاجهم الأدبي قد تُرجم إلى أكثر من عشرين لغة لاعتبارات هامة نذكر منها: أولاً: أن أعمالهم الأدبية تتسم بالصدق والصراحة. وهي تعطي بذلك صورة واضحة للمجتمع الفنزويلي بأبعاده المختلفة. هي مرآةٌ لهذا المجتمع تعكس آفاقه البعيدة والقريبة على النحو الذي يُعطي القارىء اللوحة المرسومة والخطّ الواضح لبلد كان مسرحاً لإحداث تاريخية هامة:

ونبدأ بأول التسعة وهو: **رومولو جاييّوجوس** (**Romulo Gallogos**)، أحد الروائيين الفنزويليين الذين يتمتعون بالإعجاب والتقدير في أرجاء أمريكا اللاتينية، وقد وُلد في العاصمة الفنزويلية كراكس في الثاني من شهر أغسطس لعام ١٨٨٤م، والكاتب الفنزويلي فضلاً عن كونه سياسياً بارزاً، فهو واحدٌ من

الأدباء الذين يمتعون بثقافة عريضة وأسلوب أخاذ. وقد عاش أديبنا شبابه في بيئةٍ سياسية تتميز بالزعامات والقيادات، إلاَّ أنه استطاع أن يكرس نشاطه منذ سنوات عمره المبكرة إلى التدريس والأدب، والحق أن إنتاجه الأدبي يُعتبر مفخرة للإنسان الفنزويلي. ونحب هنا أن نشير بإيجاز إلى أهم أعماله الأدبية:

* (كنيما — **Canaima**)، وفيها يُصور المؤلف الغابات الفنزويلية بغموضها وأسرارها، ويبدو أن الفكرة الرئيسية لكنيما كما يعلّق الناقد الفنزويلي أورلاندو أروخو (**Orlando Araujo**) هي وفرة الإمكانيات الطبيعية مثل الأنهار والشلالات وكذا الأراضي الشاسعة غير المزروعة، وكلها طاقات مُبددة من الممكن استثمارها والاستفادة منها «هنا نجد المؤلف يقف موقف المرشد والموجه لأنه يقوم بدور إيقاظ الاهتمام لما يمكن أن يحقق الاستفادة الكاملة من الثروات الطبيعية الفنزويلية المهدرة دون طائل. فالرواية تحتوي رسالة اجتماعية مغزاها: الدعوة إلى الاضطلاع بمسؤولية هذه الإمكانيات الهائلة الموجودة في فنزويلا والتي تحتاج إلى العناية بها.

* إلاَّ أن أهم رواياته وأكثرها ذيوعاً وشهرة هي دون شك (السيدة باربارا — Dona Barbara). في هذه الرواية نجد الكاتب يعيش حقيقة السهول الفنزويلية الشاسعة بأشجارها وأنهارها وحيواناتها. وهي بيئة يُسيطر عليها العنف وتتعاقب فيها دورات الفيضان والجفاف وتبدو كما لو كانت صحراء واسعة تحتاج لعبورها لآلاف الطرق.

والحق أنه لا توجد رواية فنزويلية تُرجمت للعديد من اللّغات وحظيت بتقريظ واستحسان النقّاد المتخصصين مثل (السيدة باربارا) ويقول النقّاد عنها: أنّها عمل فني كامل، فالأفكار الجميلة التي تحتوي عليها قد تم التعبير عنها في عبارات موجزة مركزة. وفي الرواية تتضّح صورة السهول الفنزويلية بسكانها ومعاناتهم من الحروب الأهلية، وهي نقمات لم تنل من روحهم المعنوية، وتبقى الرواية شاهداً على حب الكاتب لفنزويلا. فهي تحتفظ بصفحاتها مفتوحة لكل قارىء حتى يستمتع بها لآخر رشفة من الحقيقة الفنزويلية، مثلها في ذلك مثل السهول الفنزويلية التي تفتح آفاقها اللامحدودة لخياله دون نهاية.

نقطة إيضاح أخرى لتفهم فلسفة أدب جاييجوس: وهي أن كاتبنا قد استلهم الفلكلور الفنزويلي في رواياته. هو رائد إذن لما يمكن أن ندعوه بالأدب المسؤول، بمعنى أن الأدب يضطلع برسالةٍ اجتماعية ينقلها لقرائه عبر عمله الأدبـي.

لقد وجد الشعب لفنزويلي في روايات جاييجوس الحقيقة العميقة المعبرة، ولذلك نجدها تتضمن الدعوة إلى مواجهة مشكلات الواقع الفنزويلي. كان المؤلف يحمل لواء إيقاظ وعي الشباب الفنزويلي عن طريق تشخيص الأمراض الاجتماعية والدعوة إلى حلها، وهو أسلوبٌ لا يستغرب من الأديب الذي قضى أغلب حياته مُعلّماً يُعطى بشخصه القدوة النموذجية للمعلم الكامل.

وكاتبنا لم ينعزل في برج عاجي كي يتفرغ للأدب، بل إن ميلة القوى للمشاركة في النشاط الاجتماعي قادة إلى الإسهام بدور كبير في الكفاح السياسي، وذلك في سبيل إنقاذ فنزويلا من التخلّف خلال فترة الحكومات الديكتاتورية التي تعاقبت عليها لمدة طويلة.

وهذا الضمير الاجتماعي العميق الذي كان يتمتع به الأديب، هو ما عبّر عنه في إحدى عباراته التي وصف فيها نفسه قائلاً: (لقد كان يوجد في دائماً شيءٌ آخر أكثر من مجرّد كوني أديب).

وفي عام ١٩٣٦م يُعيّن رومولو جاييجوس وزيراً للتعليم، ومن هذا الموقع العالي يقوم بالبدء في مشروعات لإصلاح التعليم إلاَّ أن المعارضة تجبره على الاستقالة. وفي السنة التالية ينتخب نائباً في البرلمان مُمثلاً عن العاصمة، ثم يُنتخب بعد ذلك رئيساً لمجلس بلدية كراكاس. وفي عام ١٩٤١م بينما كانت فنزويلا تكافح من أجل الوصول إلى حكمٍ ديمقراطي وهو نفس الوقت الذي اكتسبت فيه الأحزاب صفة الشرعية: يقوم أديبنا بترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية إلاَّ أن هذه الرئاسة يفوز بها الجنرال إيزايس مدينا أنجاريتا (Isais Medina Angarita)، وفي عام ١٩٤٧م عقب حملة انتخابية مكثفة يقوم حزب العمل الديمقراطي، وهو الحزب الذي ينتمي إليه جاييجوس بترشيحه لرئاسة الجمهورية للمرة الثانية. وفي ديسمبر من نفس العام يتم انتخابه رئيساً للجمهورية الفنزويلية بأغلبية ساحقةٍ عن طريق

الاقتراع الشعبي. وأديبنا المعلم والمثقف، والسياسي المستنير بعد أن أصبح رئيساً للجمهورية: نجده يحرص على تنفيذ مشروعاته الإصلاحية. وفي هذا الصدد يعلن دستوراً جديداً، كما يصدر قانوناً للإصلاح الزراعي، إلاَّ أن فترة رئاسته للجمهورية لا تطول.

ذلك أنه في نوفمبر من عام ١٩٤٨م يحدث انقلاب عسكري يُستولى فيه على الحكم، ويُنفى جاييجوس مع أسرته من فنزويلا. ويبدأ بعد هذا فترة حكم ديكتاتوري يتم فيه إلغاء المؤسسات الديمقراطية، ويمتد هذا الحكم الديكتاتوري لمدة عشر سنوات طويلة. ويعود الأديب العظيم من المنفى إلى فنزويلا عام ١٩٥٨م، ويستقبله الشعب الفنزويلي بحفاوة بالغة باعتباره رمزاً للحرية. وتحوطه بعد عودته مظاهر التكريم، كما يتم الإنعام عليه بالجوائز على إنتاجه الأدبي داخل فنزويلا وخارجها، وفي أبريل من عام ١٩٦٩م يموت جاييجوس في كراكس، يموت هذا الفنزويلي العظيم الذي كان ممثلاً رائعاً لأحاسيس أبناء شعبه وإمكانياتهم التي لا تنفذ.

* * *

أرتورو أوسلار بيتري Arturo Uslar Pietri

نبذة عن حياته: وُلد الأديب الفنزويلي الكبير في ١٦ مايو من عام ١٩٠٦م، وهو حاصل على درجة الدكتوراة في العلوم السياسية، وقد عمل أستاذاً لأدب أمريكا الإسبانية بجامعة كولومبيا بالولايات المتحد الأمريكية. ومن الأعمال الهامة التي

تولّاها: وزيراً للداخلية، وكذا وزيراً للتعليم ثم عضواً بمجلس الشيوخ، وكذا سفيراً لفنزويلا أمام منظمة اليونسكو.

نشاطه الأدبـي الثقافي: أوسلار بيتري: كاتبٌ ومؤرّخ سياسي وصحفي. وقد أحاط إنتاجه الأدبـي كافة فروع الأدب بحيث شمل الرواية والأقصوصة والمسرحية والمقالة، تسنده في ذلك ثقافةٌ موسوعية عريضة وأسلوب يتميّز بالجلاء والوضوح، بحيث يمكن أن نُطلق عليه بحقّ مُعلم جيل من الشعب الفنزويلي. ومن إنتاجه الرائع الذي أصبح نموذجاً للرواية في أمريكا اللاتينية روايته المدعوة (الرماح الحمراء) وهي نموذجٌ ممتازٌ للنثر الرفيع الذي هو خاصية المؤلف. ولعل الشهرة الكبيرة التي تحظى بها هذه الرواية هو ما أدى إلى ترجمتها لأكثر لغات العالم، بحيث صدر منها ما يزيد على مليون نسخة. وهو رقم قياسي على المستويين الفنزويلي والعالمي.

وأديبنا كاتبٌ مثقف لم يدع فرعاً من فروع المعرفة إلاّ وأحاط به وأدلى بدلوه فيه بالرأي الجديد والتعليق السديد والبصيرة النافذة. ولعل أبرز مثل على هذا أحد كتبه ويدعى «قيم إنسانية» وقد تناول فيه بالتأريخ والتعليق كافةً روّاد المعرفة الإنسانية: من كُتّاب وثوّار وأدباء وفنانين وساسة وقادة، تناولهم بالتحليل الموضوعي العميق والرؤية المستشفة الواعية.

وذلك في أسلوبه العذب الأخاذ بحيث قدّم المعرفة الإنسانية في صورة مبسطة لجيل من الشباب الفنزويلي، ولا نبالغ إذا قلنا لجيل من متحدثي اللغة الإسبانية. وقد قرأ

كاتبنا في الأدب العربي وخاصة «ألف ليلة وليلة» وأفردَ لها كُتيِّباً. وفي هذا تحضرنا فقرةٌ من تعليقه على ألف ليلةٍ وليلة يقول فيه (هذا الكتاب الرّائع الذي يتضمن التاريخ والأقاصيص والمغامرات على اختلاف نوعها، تلك المغامرات التي تصف عالماً مسحوراً يزخر بالرؤى الخيالية... إلخ، هذا الكتاب الذي يُجسّم شخصية شهرزاد، ولعل من الممكن أن شخصية شهرزاد لم توجد أبداً، وأنها لا تتجاوز أن تكون شخصية أسطورية، إلاَّ أنها رغماً عن هذا تقدم لنا هذا العالم الذي يفيض بالسحر والخيال.

وأوسلار بيتري الذي تناول كافة فروع الأدب بالإثراء والإضافة، لم يدع مجال القصة القصيرة دون أن يدلي بدلوه فيه. كتب مجموعته القصصية الشهيرة بارّاباس وقصص أخرى في عام ١٩٢٢م، وكان عمره لا يتجاوز الثانية والعشرين، ورغم أنها تعتبر باكورة عمله الأدبي، إلاَّ أنها تعبِّر عن ملامح نضج أدبي مبكر، وما زالت تحتفظ بروعتها وجمالها رغم مضي أكثر من خمسين سنة على صدور الطبعة الأولى. والمجموعة القصصية السابقة الذكر كانت تُعتبر حين صدورها ثورةً على اللون القصصي التقليدي. مجموعة بارّاباس القصصية هي بمثابة فتح أبواب العالمية للأقصوصة الفنزويلية، لأنها أول محاولة ريادية جادة للخروج من دائرة القصص الفنزويلي التقليدي، الذي كان يتجه أكثر ما يتجه للطبيعة والعادات الفنزويلية. كانت المجموعة القصصية بمثابة ثورة على مقاييس الأقصوصة الفنزويلية التي وضع دستورها الأدباء الفنزويليون التقليديون.

أو كما يقول بعض النقاد الفنزوليين إنّ «بارّاباس وقصص أخرى» هدمت جبالاً من السكر والملح والشمع وضع معالمه القصاصون الفنزويليون التقليديون. والمُدهش المثير للإعجاب أن المؤلف في سنوات عمره المبكرة كان لديه مفهوماً واضحاً لما يجب أن تكون عليه الأقصوصة، وما يتعلق بهذا من «ضرورة اختزال الأحداث والاقتصاد في التعبير» وكلها مستلزمات الأقصوصة الجيدة.

ونحب أن نعطي صورةً سريعةً لرواية (**الرماح الحمراء**) التي تُعتبر أكثر أعماله الأدبية شهرةً.

رواية الرماح الحمراء تعتبر خير إنتاجه الروائي، وكما يقول النقاد لعلها تُعتبر خير روايةٍ تاريخيةٍ كُتبت في فنزويلا وكذا واحدة من أحسن الروايات التاريخية بأمريكا اللاتينية، وقد ظهرت الطبعة الأولى منها عام ١٩٣١م، كتبها المؤلف في باريس تُحيطه رُؤى بلده فنزويلا.

ويقول المؤلف معلقاً على روايته: بأنه لم يبدأ بكتابة الرواية التاريخية لمجرد حب قديم وإنما انطلاقاً من مبدأ التعبير عمّا هو قومي. والرواية تحكي جُزْءاً من ملحمة حرب الاستقلال في فنزويلا. فالمعروف تاريخياً أن القائد الإسباني مونتفردي كان يسيطر على المنطقة الوسطى من فنزويلا، هذا بالإضافة إلى إسباني آخر من منطقة أستوريا الأسبانية، استطاع أن يتمركز في منطقة السهول الفنزويلية، ويجمع من حوله مجموعة من الفلاحين والعبيد بحيث وصل عددهم إلى سبعة

آلاف مقاتل. هذا العدد الرهيب من قاذفي الرماح كان يطوف بوسط فنزويلا ينهب ويخرب ويغتصب النساء. ويتصدى له بطل من أبطال حرب الاستقلال الفنزويلية هو فيليكس ريفاس، يتصدى له بقوات لا يزيد عددها عن ألفي مقاتل أغلبهم من طلبة الجامعة الذين يتدربون على الأسلحة فقط قبل دخول المعركة، وقد استطاع ريفاس بجيشه القليل العدد أن ينهي حياة المغامر الإسباني بوفيس (Boves).

ولو عُدنا للرواية نجد أن المؤلف يحاول أن يرسم لوحةً للمجتمع الفنزويلي عام ١٨١٤م، هذا المجتمع الذي كان يحتوي على طبقات مختلفة تشمل الإسبان المحتلّين والفنزويليين من أصل إسباني وكذا الزنوج. والطبقتان الأخيرتان كانتا تعيشان في قاع المجتمع الفنزويلي: مجتمع تسوده الديانة المسيحية الكاثوليكية، مجتمع يدين بالولاء للتاج الإسباني، وتوجد من بين أفراده طائفة من الشباب تعتنق الأفكار الثورية، وهي طائفةٌ وصلت إليها ترجمات لكتاب العقد الاجتماعي لروسو: وفَحواه أن الإنسان يولد حراً، وكذا كتاب حقوق الإنسان.

ويمكن القول بأن الشخصيتين الرئيسيتين في الرواية هما فرناندو فونتا (Fernando Fonta) وبرزنتاسيون كامبوس (Presentacion Campos)، الأول من أسرة إقطاعية، وقد كان أبوه سانتياجو رجلاً صعب المراس، غليظ القلب، هذا على النقيض من زوجته الرقيقة السقيمة، التي كانت تقضي مُعظم وقتها تُصلّي وتتعبّد. بالإضافة إلى عددٍ كبير من العبيد يعملون

في زراعة الإقطاعية، يعيش معهم ويدين لهم بالولاء في خضوع وخنوع. كانت حياة فرناندو في المزرعة رتيبة هادئة تتخلّلها جولاته اليوميّة مع شقيقته إنيس (Inés)، وهي فتاة ضعيفة الشخصية تُجيد العزف على البيانو وتعيش في جو من أحلامها الداخليّة. وينتقل فرناندو للعاصمة كراكس، ويعيش معه في نفس المنزل شاب آخر هو برناردو: من نمطٍ ثوريّ يتعاطف مع كل ما هو ضد التاج الإسباني. ويلتقط فرناندو خلال دراسته للجامعة بعض الأفكار الثورية وتتفتح في نفسه الرغبة في تعليل الأشياء والرجوع بها لأسبابها الأصليّة، وهذا من ثمرة دراسته للمنطق والفلسفة، وكان عقله يتغيّر إلاّ أن تكوينه الداخلي كإقطاعي كان أقوى من أفكاره التي طورتها دراسته بالجامعة، وكذا حضوره الاجتماعات السرية للجمعية الوطنية. فرناندو إذن يمثل الإقطاعي الذي يتعاطف مع الأفكار الثورية ولكنّ جُبنه وخوفه الدائم من الموت يضعه في موقف الحذر المستمر. فهو يحضر اجتماعات الثوار تجذبه الأفكار الجديدة، إلاَّ أنه يتخاذل عندما تُتاح له الفرصة عَمليّاً كي يشترك مع القوات المقاومة لبوفيس (Boves)، ونجد المؤلف يضعه في مواقف اختبار مستمرة، وكأنه يريد أن يُعرِّيه من زيفة وقناعه النظري.

والشخصية الرئيسية الأخرى هي برزنتسيون كامبوس، وكان يعمل رئيساً للعبيد في مزرعة فرناندو، إلاَّ أن علاقاتهما كان يسودها العداء الظاهر. كان فرناندو يشعر أنه مفروضٌ على الإقطاعية، وأن والده هو الذي عيّنه رئيساً للخدم أو بالأحرى رئيساً للعبيد في إقطاعيته. وكمبوس في لحظة من لحظات ثورته

الداخلية يقوم في ثورة غضب مُفاجئةٍ بحرق الإقطاعية بعد أن يغتصب أخت فرناندو: إنيس. وتشعر إنيس بإذلال مهين، وتخرج من المزرعة هائمة على وجهها وقد صممت على الانتقام من هذا العبد الجاحد لسلطان أسياده. إلاَّ أن هذا الانتقام لا يتحقق أبداً. وينضمّ كامبوس لمجموعة إسباني مغامر هو بوفيس كان يتزعم سبعة آلاف مقاتل يُناهضون الثوار، ويموت كامبوس أسيراً بعد أن وقع في أيدي الثوار، وذلك في الهزيمة التي ألحقها البطل الفنزويلي ريفاس بمجموعة بوفيس في معركة يكتبها التاريخ بحروف من نور هي معركة لافيكتوريا.

والحق أننا لو تعمقنا شخصية كامبوس نجده لا يعطينا النموذج الثوري النقي المبرأ عن العيوب، وإنما يقدم لنا صورة للإنسان النفعي الطموح الذي يتحرك حيث تتحرك مصلحته الشخصية، ويدين بمبدأ أن الذكي يجد مكانه دائماً في قمة المجتمع وأن الساذج الأبله هو الذي يعيش في قاع المجتمع. وانطلاقاً من هذا المبدأ نجده يشترك في إحراق القُرى ونهبها واغتصاب النساء، ويجد نفسه فجأة قائداً لمجموعة من المقاتلين ضد الثوار وهذا يُرضي طُموحه الداخلي رغماً عن أنه يحارب ضد وطنه. والرواية في مجملها عرض مفصل للأوضاع في فنزويلا أثناء الثورة على التاج الإسباني، والمؤلف يستخدم في عباراته اللهجات المحلية المتداولة، كما يُثير أثناء ذلك علامات استفهام تجاه قضايا تقليدية مثل صكوك الغفران، وكذا الولاء للتاج الإسباني، نجده أيضاً يتعرض للقضايا الفلسفية الثورية التي كانت مودة العصر وهي الأفكار التي كان يتداولها

الثوار خفية عن عيون الرُّقباء عن طريق كتبٍ مثل العقد الاجتماعي لروسو وكذا كتاب حقوق الإنسان. والحق أن تقييم الرواية كعمل أدبي يضعها في مرتبة عالية: فالمؤلف فنان يعرف كيف يرسم الأحداث في أستاذية مقتدرة مما جعلها تترجم لأكثر من عشرين لغة.

وجدير بالذكر أن أوسلار بيتري فاز هذا العام ١٩٩٠م بجائزة أمير أستورياس. وهي جائزة هامة لأدباء الدول المتحدثة باللغة الإسبانية تمنحها حكومة إسبانيا للأعمال الأدبية الهامة في إسبانيا وأمريكا الإسبانية، وهذا تقدير يستحقه الكاتب الكبير الذي أثرى الرواية والمقالة في الأدب الإسباني، ممّا جعله وبجدارة رائداً في هذا المجال. كما فاز عام ١٩٩١م بجائزة رومولو جاييجوس العالمية في الأدب.

* * *

ميجيل أوتيرو سيلفا Miguel Otero Silva

نبذة عن حياته: وُلد الروائي الفنزويلي في مدينة برشلونة التابعة لمحافظة أنسواتيجي (Anzoategui) في ٢٦ أكتوبر عام ١٩٠٨م، وقد انتظم في دراسة الهندسة بالجامعة المركزية بالعاصمة كراكس. إلاّ أنه هجر الدراسة بالجامعة ليتفرغ للكفاح السياسي ضد الديكتاتور جوميص (Gomez) حاكم فنزويلا آنذاك. وفي عام ١٩٤٩م عاد للانتظام الدارسي بالجامعة ليحصل على درجته الجامعية في الصحافة. والأديب الشهير متزوج وله ابن وابنة.

نشاطه السياسي: منذ عام ١٩٢٨م تعرض الكاتب للسجن والإبعاد عن فنزويلا، وقد عاش أثناء إبعاده عن وطنه في إسبانيا وفرنسا وبلجيكا والمكسيك والولايات المتحدة الأمريكية وكوبا وكولومبيا. ولعل هذا الترحال المستمر هو ما أعطى الكاتب هذه الحساسية الفنية العالية التي يتميّز بها أسلوبه. وفي عام ١٩٥٨م تم انتخابه عضواً بمجلس الشيوخ والنواب على التوالي.

إنتاجه الأدبي: لا شك أن هذه الحياة الحافلة الخصيبة لأديبنا قد طبعت بصورة مباشرة أو غير مباشرة أثرها العميق في أدبه، مضافاً إليها الموهبة والأسلوب الساحر الذي يبتعد عن الغموض ويتميز بالسلاسة، فهو السهل الممتنع، ونحب أن نذكر هنا روايتين له تُرجمتا لأكثر من عشرين لغة، كما أصبحتا لجمالهما ومستوى الأداء التعبيري والفني الرفيع بهما نموذجاً يُحتذى في أمريكا اللاتينية، وإحداهما تُدعى بيوت ميّتة، وقد تُرجمت هذه الرواية للعديد من اللغات ويُعلق عليه أوسلار بيتري (Uslar Pietri) وهو أديب فنزويلي شهير قائلاً: (إنها عمل شاعر، فهي صورة شعرية للحياة والموت في فنزويلا) ويُعلق عيها أديب فنزويلي آخر قائلاً: (إنها من أجمل الروايات التي كُتبت في فنزويلا، ففيها يسمو أوتيرو سلفاً بالتعبير الغنائي المناسب). ويقول فيها الأديب البيرواني لويس ألبرتو سانشيز (Luis Alberto Sanchez): (إن الروائي ينجح في روايته في التوغل بعمق في أحزان الشعب، ويحقق هذا بقدرة فنية عالية وبوعي كامل لتناسب الأبعاد الجمالية).

ويزداد الإعجاب والتعليق على هذه الرواية من أدباء عالميين: فرنسيين وإسبان وإيطاليين، الجميع، يتفق على أنها عمل فني كامل متكامل. وقد فازت الرواية بجائزة الدولة الفنزويلية في الأدب. ولعلّ النشاط الأدبي والصحفي المكثّف لأديبنا هو ما دعا إلى الإنعام عليه بكثير من الأوسمة والنياشين في بلده فنزويلا، وكذا في إسبانيا وإيطاليا والمكسيك.

والجدير بالذكر أن أوتيرو سيلفا عضو في مجمع اللغة الفنزويلي، وهي أعلى درجة يحصل عليها أديب في فنزويلا، والرواية الأخرى هي (المكتب رقم واحد) وقد نالت بدورها الإعجاب والتقدير في فنزويلا وخارجها.

وأحب هنا أن أعرض بسرعة مُلخصاً لأشهر أعماله الأدبية «بيوت ميّتة»: والرواية تحكي قصّة قرية صغيرة بمساحتها وعدد سكانها تقع في منطقة السهول الفنزويلية. وهنا ينبغي أن نتوقف كي نتأمل كيف رسم المؤلف في براعة ومقدرة رائعة أشخاص روايته. الشخصية الرئيسية هي كارمن روزا (Carmen Rosa) طفلة صغيرة تعيش مع أمها السيدة كارمليتا (Carmelita)، حيث تساعدها في محل للبقالة يمتلكونه، وكذا مع والدها السيد كاسيميرو (Casimiro). هي حياةٌ هادئة رتيبة تخلو من عنصر المفاجآت، نموذجٌ للحياة الريفية الوادعة الساكنة. كارمن روزا: هي البَسْمة المضيئة في ظلام القرية، هي الزهرة التي تحيطها العيون بالمودة والتقدير، هي موضع رعاية قسيس القرية الأب برنيا (Pernia) الذي يحيطها بعطف أبوي، فهي ابنة الكنيسة

التي تتردّد عليها وتسترشد برأي الأب برنيا عندما يستشكل عليها أمر من الأمور، بل وحتى تعترف له بخطاياها البريئة: إن صحّ أن لها خطايا، وكارمن روزا لها شقيقة هي مارتا (Marta)، إلاّ أن مارتا تفتقر ألمعية شقيقتها وذكائها. كارمن روزا لديهاأيضاً معجبوها، وينفرد من هذا العدد الغفير من المعجبين سلستينو (Celestino) الذي يحبها إلى حد الهيام، إلاَّ أنها لا تضمر له شعوراً غير شعور العطف والمودة الأخوية البريئة، ومع هذا فإن قلبها العُذري له من يملأه بالعواطف ويُشعل فيه نار الحب، فتى يأتي من قرية أخرى يُدعى سباستيان (Sebastian) يأتي ليراها كل أسبوع ويلتقي بها خفية أول الأمر، ثم تصبح علاقة حبهما معروفة لدى القرية، ويلتقي المحبان حيث تتشابك الأيدي، وتصمت الألسنة لتتحدث العيون وتضيء بنور السعادة. وفتاتنا التي أصبحت فتاة ونما جسدها نمواً جميلاً يؤكد دخولها مرحلة أخرى هي مرحلة الأنوثة والنضج الجسدي. كارمن روزا: تتردد على المدرسة الوحيدة بالقرية وتجد من عطف مُدرستها بيرنسيه (Berenice) وتشجيعها ما يضعها في الصفوف الأولى من حيث التفوق والأولوية. والمدرسة عانس تجد في عملها المدرسي ما يملأ حياتها في القرية فهي تعيش مشاكل القرية وتشارك في حلها إن تيسّر لها ذلك.

شخصية أخرى جديرة بالتعرف عليها هي شخصية الكولونيل كوبيوس (Cubillos) أو رئيس بوليس القرية الذي يقضي ساعات يومه في رتابة وملل، فالقرية ليس بها لصوص كما أنّ الجميع في سلام لا يسمح بتدخل البوليس، كان يقضي

وقته جالساً أمام مدخل مكتبه تمر به الساعات على هذا النحو الملول دون أن يجد من يرتكب جريمة حتى يظهر أمام الجميع في صورة البطل المنقذ. شخصية أخرى من أجمل الشخصيات في الرواية هي شخصية العجوز كارتايا (Cartaya)، وقد كانت كارمن روزا تأنس لصحبته فهو أشبه بالأرشيف التاريخي للقرية يحفظ أحداثها عن ظهر قلب؛ ويجد متعة كبرى في أن يسرد لكارمن روزا بعض طرائف هذه الأحداث.

نعود لنسير مع بدء خيط الكوارث الذي بدأ يحل بالقرية الصغيرة. القرية الهادئة تصيبها الأمراض وتحل بها الأوبئة في وقت لم تكن تعرف فيه الأمصال الواقية من الملاريا أو الحمى الصفراء، ويقع أول ضحية للحمى السيد كاسيميرو والد كارمن روزا، ويتمكن المرض من جسمه على نحو لا يدع فيه إلاَّ بقايا إنسان. تم شفاؤه من الحمى إلاَّ أنها تركت في عقله بصمات لا بُرء منها. فبدأ يهذي بعبارات غير مفهومة لا يربطها سياق منطقي، ويحكي قصصاً عن أحداث لم تحدث قط، كما يرى أشباحاً في أركان الحجرة ليس لها وجود، فارقته الحمى إذن إلاَّ أن الهذيان ظل لاصقاً به، تحول إلى ظلّ، إلى شبح هائم يتحرك بطريقة آلية عندما يأكل وينام، وتُعاونه زوجته في ملبسه وتضع له الطعام في فمه كطفل صغير.

وكانت الصغيرة كارمن روزا تُدرك بعقلها الحاد الذكي أن أباها وهو يتحرك بينهم في المنزل كشبح لا يدرك شيئاً مما حوله ويعيش في عالمه الخاص، عالمه الذي صنعه بنفسه لنفسه. كانت تدرك أنه مات منذ زمن طويل، فهو موجودٌ وليس حياً.

وفي يوم من تلك الأيام الشاحبة التي تأتي ويتمنى الإنسان ألاّ تأتي، يحضر سباستيان ليزور حبيبة قلبه وتوأم روحه وذلك في زيارته الأسبوعية التي لم يتخلف عنها إلاَّ مرة واحدة، إلاَّ أن الحمى تصيبه وتتمكن منه على نحوٍ رهيبٍ، ويموت بين ذراعي حبيبته كارمن روزا، وتنطفىء في وجهها إشراقة الأمل التي كانت تضيء الوجه الجميل بالسعادة، ويمتلىء وجهها بهذا التعبير الصامت الحزين، تعبير الألم الذي يعصر الفؤاد، ويتغلغل في الروح، حزن دائم موجع، لا راحة فيه ولا أمل في زواله. وتُقرر كارمن روزا مغادرة القرية مع أمها، فقد مات والدها أيضاً. تُغادر المكان الذي كان مسرحاً لسعادتها وأحزانها، متطلعة نحو أفقٍ جديدٍ حيث بدأ اكتشاف البترول، لعل موجة البترول تغسل أحزانها الكثيرة. وتودعها القرية أو بالأحرى العدد القليل الباقي من أفرادها الذين فتكت بهم الأمراض وقضت على كثرتهم. يُودعها الأب برنيا ومدرِّستها برينيسيه (Berenice) والجميع يشعر لوداعها كأنما انتزع منه قلبه. فقد أصبحت كارمن روزا من معالم القرية وشخصياتها الرئيسية. وهكذا تنتهي الرواية في هذه الصورة المحزنة. ونحن في عرضنا السريع لم نتعرض لكافة تفاصيلها، إلاَّ أن ما يجدر ذكره هو أسلوبها الأخاذ السلس الذي يستحوذ على مشاعر القارىء منذ البداية بحيث يدعه أسيراً لجاذبية أحداثها التي تتشابك خيوطها في إحكام وبراعة فنان مُقتدر، مما يجعل منها وبحقّ إحدى كلاسيكيات الأدب في أمريكا اللاتينية. والرواية كما يقول النقاد: تُعتبر أحسن ترجمة لآمال شعب وآلامه: فهي

تحكي هموم القرية في حياتها اليومية بفولكلورها ومعتقداتها، أو كما يقول ناقد آخر: إن الرواية لم تكتب ولكن تمّ رسمها كما لو كانت لوحة فنية رائعة. وهي لهذا تحتفظ بمكان رفيع بين الروايات العالمية باعتبارها وثيقة أمينة لحياة قطاع من الشعب الفنزويلي.

* * *

جيرمو مورون Guillermo Moron
المُـؤرِّخ والروائي المعروف

نبذة عن حياته: مورون من مواليد كارورا التابعية لمحافظة لارا الفنزويلية، وهو حاصل على الدكتوراة في الفلسفة والآداب من أسبانيا عام ١٩٥٤م، كما تخصَّص في فلسفة التاريخ من جامعة جتنجِنْ بألمانيا.

وتقديراً لنشاطه الفكري المُكثَّف فقد حصل على أعلى الأوسمة من الحكومات: الأسبانية، البرتغالية والفنزويلية، وهو عضو بأكاديمية التاريخ الفنزويلي، كما أنَّه عضو مراسل لأكاديمية التاريخ بأسبانيا والبرتغال، ويعمل مديراً لأكاديمية التاريخ بفنزويلا منذ عام ١٩٨٦م.

أهم المناصب الجامعيّة التي تولّاها:

١ ــ أستاذ الحضارة الأسبانية الأمريكية بجامعة همبورج بألمانيا منذ عام ٥٦ وحتى ٥٨.

٢ ــ أستاذ تاريخ الأدب: الجامعة الكاثوليكية أندريز بيو منذ

عام ٥٩ وحتى عام ١٩٦٢م.

٣ ــ أستاذ التاريخ الفنزويلي والثقافة الأمريكية الأسبانية بجامعة سيمون بوليفار منذ عام ١٩٧٤م وحتى عام ١٩٨٥م.

أهم أعماله الثقافية: الدكتور جيرمو مورون: يعمل مديراً للمطبوعات لأكاديمية التاريخ الفنزويلي منذ عام ١٩٥٨م، كما شارك بكتاباته في العديد من الصحف والمجلات الفنزويلية والعالمية، وهو عضو في البرلمان الفنزويلي منذ عام ١٩٨٤م وحتى عام ١٩٨٩م.

كما شارك في كثير من المؤتمرات الدولية ممثلاً عن فنزويلا.

أهم مؤلفاته:

١ ــ «مُسوّدة متأمل»

Los Borradores de un Meditador

في هذا الكتاب: يتعرض المؤلف لموضوعاتٍ مختلفة: مثل حق السلطة، استخدام وسوء استخدام الأنا، ومورون نفسه يشرح موضوعات كتابه قائلاً: «إنَّ موضوعات الكتاب يتم التعرُّض لها عن طريق متأمّل مجهول، مولود في ركن من أركان العالم، بحيث يمكن أن نُعرِّف عمله بأنّه التفكير». هذا يُوضِّح الاتِّجاه الفلسفي الذي يتَّبعه المؤلف في كتابه.

٢ ــ «**تاريخ فنزويلا**»:

ويُعتبر من أهم أعماله في المجال التاريخي، كما أنه يعتبر

من أهم المراجع عن تاريخ فنزويلا، ويتعرَّض فيه الكاتب المؤرخ للعصور التاريخية في فنزويلا في أسلوب تحليلي واضح: حيث يَتَبع فيه تاريخ الفنزويلين: من الجذور الأولى: دون أن يُغفل العوامل الجغرافية وهذا يعني دراسة التاريخ كوحدة اقتصادية اجتماعية ثقافية كاملة متكاملة، وهو مَا يَسمح للمؤرِّخ ودارس التاريخ: الوصول إلى تفسير وفهم أوضح لأحداث التاريخ.

٣ ـ «**التاريخ المعاصر لأمريكا اللاتينية**»:

وفيه يُعطي المؤلف بانوراما واضحة تُسهِّل لنا تفسير وفهم ما يحدث في أمريكا اللاتينية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، والكتاب في هذا المجال يُعتبر أَوَّل محاولة يقوم بها مؤرخ فنزويلي لتلخيص ما يجري على مسرح الأحداث في أمريكا اللاتينية المعاصرة.

٤ ـ « **أول كتاب عن الشذرات**»:

Primer Libro de Fragmentas

ويشمل مُلخّصاً للمعرفة القديمة، وخاصة روادها من الكتاب اليونانيين الذين أَضَاءوا طريق المعرفة الانسانية.

٥ ـ «**المعارف غير المفيدة**»:

Los Saberes inutiles

وهذا الكتاب يجمع المقالات التي نشرها مورون في الصحافة الفنزويلية في عام ١٩٧٤، ١٩٧٥م: وهي مقالات تُمثل رأي المُؤلف في الحاضر الفنزويلي، وذلك

في إطار التزام المثقَّف، بأن يكون ضميراً نقدياً للمجتمع الذي يعيش فيه. وفي الكتاب سابق الذكر يطرح مورون أمثلة كثيرة حول الحرية، واستخدام القوة، والمشكلات التعليميّة.

٦ ــ «**الأشياء الواضحة**»:

Las Cosas Claras

ويشمل مجموعة من المقالات تمَّ نشرها بين عام ١٩٤٧م وعام ١٩٧٠م. وفيه يعرض المؤلف المبادىء التي يجب أن يلتزم بها الكاتب، مثل الصدق، وكي يتحقق هذا الهدف: يلزم أن تكون أفكار الكاتب واضحة في ذهنه، وأن يتسلَّح بالشجاعة.

والكتاب يمكن تجزئته لقسمين: (١) قسم تُعالج فيه موضوعاتٌ سياسية، (٢) والقسم الثاني يتم فيه بحث الموضوعات التعليمية، (٣) وفي القسم الأخير يبدو اهتمام الكاتب بتطوير التعليم في فنزويلا، وصدى ذلك في الحياة الوطنية بفنزويلا.

٧ ــ «**حكايات فرانسسكو وعجائب أخرى**»:

والكتاب أشبه بمجموعة من اللوحات الفنيّة يعرض فيها الكاتب لمجموعة من التجارب تتأرجح بين الواقع والخيال في صورة أقاصيص.

٨ ــ «**بعض الحيوانات الوطنية**»:

والكتاب عبارة عن خمسين أسطورة يختلط فيها الواقع

بالخيال، كما أنَّها حافلة بالرمز والسخريّة، مما يجعل من الكتاب متعة فكريّة للقارىء، وكأنّه في هذا أشبه بأساطير لافونتين، أو كتاب كليلة ودمنة المشهور في الأدب العربي.

وإحدى هذه الأساطير الجميلة تدعى: الصراصير والبطل. وهي تحكي عن بحث الصراصير دون جدوى عن البطل، وذلك في أسلوب حافل بالرمز والسخريّة الممتعة.

٩ ــ «رواية الديك ذو الهماز الذهبي»:

وتُعتبر الرواية في الواقع نوعاً من السّيرة الذاتية، والكتاب هنا يتحدَّث عن الطفل فرانسسكو الذي يعيش في كارورا ويدرس في مدرستها، وهنا نجد الأديب يَعرض تفصيلاً مُسهباً لحياة فرانسسكو اليومية منذ استيقاظه في الصباح وحتى وصوله للمدرسة. والقارىء يعيش مع الكاتب لحظة بلحظة، ونحن القُرّاء نتابعه دقيقةً بدقيقة مع ما يسرده من تفاصيل لحياة فرانسسكو، ومن خلال سرده الشيّق يتعرض للعادات المحلية في الأطعمة، في لون الحياة الدينية والاجتماعية للقرى في محافظة لارا الفنزويلية، وذلك في أسلوب متدفق يتفجر كالماء من النبع الصافي.

* * *

وكذا في سلاسة لغوية فذة.. فالقارىء يُدرك من أوَّل وهلة أنّ الكاتب يختبىء وراء شخصية فرانسسكو الَّذي يُحبّ

قراءة الأدب والتاريخ وكلّها صفات المؤلف.

من ناحية أخرى فقد استفاد الروائي من موهبته كمؤرخ ليحول فصُول الرواية إلى لوحات ناطقة للحياة اليومية والاجتماعية للقرية الفنزويلية بما تفيض به من أساطير وفلكلور.

فطائر «الكِرسُتوفُوي» وهو طائر صغير أسود أشبه بالغُراب الصغير عندما يُغني في المساء: فهذا يعني أنه لا توجد مجاعة، وأنه لن يموت أحد في القرية.

ورئيس السجل المدني يعتقد أن لديه الحق في مضاجعة النِّساء في القرية الصغيرة، وأنَّ لديه الحقّ في أن يأكل مجاناً.

والكاتب يعرض لوحات بارعة لذكريات الطفولة السعيدة، ويعرض أمثلة من شقاوة صبيان القرية: حيث يختبئون في الأشجار ليراقبوا باستمتاع نساء القرية وهُنَّ يستحممن عاريات في الغدير، كما يلعبون (عساكر وحراميّة) وكلها ملامح جميلة لحياة الطفولة السعيدة:

أيضاً يتعرَّض الروائي بالتفصيل لمجتمع القرية في الثلاثينات بما فيه من سذاجة ومتناقضات، وأخيراً وقبل انتهاء الرواية يقدِّم لنا شرحاً مُفصلاً لأسطورة شعبية ذائعة الصِّيت تحمل عنوان روايته، وهي أسطورة: الدِّيك ذو المهماز الذهبي، الذي يتنكَّر أحياناً في صورة ماعز أسود، ومن طبيعته أنَّ لديه القُدرة على اختراق الحوائط ليضاجع الجميلات من نساء القرية حتى تحمِلن منه.

ثم يعود ليستقر في مضجعه في أعالي الجبال، وذلك في

عشِّه المصنوع من أشعة الشمس، ويُعلِّق الكاتب ساخراً: «وأنت إذا رأيت مجموعة من الفتيات الشقراوات من كاروروا أو تروهيّو، فذلك لأنَّهن ثمرة المغامرات النِّسائية للديكِ ذو المهماز الذهبي.

خُلاصة القول: أنَّ الرِّواية لوحة ناطقة مُعبِّرة لحياة القرية الفنزويلية في الثلاثينات: وهي بهذا الاعتبار تُعتبر سجِلاً صادقاً للفلكلور والأساطير الشائعين في مجتمع القرية الفنزويلية آنذاك، وأخيراً نحب أن ننوِّه بأنَّ الكاتب الكبير قد فاز عام ١٩٩٠م بجائزة الدولة الفنزويلية في الأدب عن روايته الأخيرة أفعال زكريّا (Los Hechos de Zacariás)، وكذا عن مجموعة أعماله الأدبية التي ساهمت في إثراء الأدب الفنزويلي خاصَّة والأسباني عامة.

* * *

سلفادور جارمينديا Salvador Garmnendia
الروائي الفنزويلي المعروف

نبذة عن حياته: الروائي الفنزويلي المعروف من مواليد عام ١٩٢٨م وهو منذ بدء نشاطه الأدبي يتجه لكتابة الرواية، وقد نشر أوَّل أعماله الأدبيّة عام ١٩٥٩م تحت عنوان «الكائنات الصغيرة»، وهي رواية عَبّرت آنذاك عن نضج أدبي مُبكِّر، أعقبها برواية «السكّان» عام ١٩٦١م، ثمَّ تلا ذلك بمجموعة من الروايات والأقاصيص، وإن كان هُناك خط عام يسود رواياته، فإنَّه كما يقول النُّقَّاد ذلك الطابع الرّمادي.. فَهو لم يَدع تفصيلاً

من تفاصيل الحياة اليومية إلاَّ تَعرَّض له وعالجه في صراحة تامة. تعرَّض للحياة الجنسية والأمراض النفسية، وكذا القلق السائد في مجتمع المدينة:

وفي روايته «الكائنات الصغيرة»، نجده يحاول أن ينفي عن الإنسان مسحة البطولة الزّائفة، وبالتالي يُعرّيه من الجمال الكاذب، وكأنَّما تُمثِّل رواياته ثورة على المثاليّة، فهو يُفتش عن الإنسان العادي في ضعفه وقلقه ومخاوفه من المستقبل، ورائده في هذا البحث عن الحقيقة في صورتها العارية المُجردة عن الزيف والطّلاء الاجتماعي، وفي روايته الثانية التي نشرها عام ١٩٦١م تحت عنوان «السكّان» نجد أن الفكرة السابقة تتحدَّد ملامحها أكثر.

وفي روايته «السكّان»، تدور الفكرة حول أسرة فقيرة تعيش في حَيّ متواضع بالعاصمة كراكس، وذلك بكل ما يواجهها من الفقر ومشكلات البطالة والقلق والصراعات النفسية، والرواية ترسم لنا لوحة عاريةً من الزيف عن الواقع الفنزويلي في هذه الأحياء، ويذكر الدارسون لأعمال جارمنديا الأدبيّة بأنَّه قدَّم لجمهور القراء الفنزويليين رواية المدينة، وهذا يعني الرواية التي تتصدَّى لمشكلات المدينة في المجتمع الفنزويلي، وهذا لا يعني أنَّه لم يكن يُوجد قبل جارمنديا روائيون يتحدثون عن المدينة ومشكلالها، وإنما الجديد: أنَّه وصل برواية المدينة إلى القمة وأعطى مشكلاتها تركيزاً أكبر، وذلك في صراحة تصل أحياناً إلى حدِّ القسوة، وإن كانت لا تخلو من لمسةِ شعرية مؤثرة، وهُنا أحبّ أن أتعرَّض بالتحليل لإحدى

رواياته الهامة وهي «الكائنات الصغير».

في هذه الرواية يتناول جارمنديا حياة إنسان عادي يعيش في ظروف اجتماعية متوسطة، وينتظر الترقية في عمله، حتى يصل بعد جَهْدٍ متواصل مُستمر لخمسة عشر عاماً إلى وظيفة «مشرف عام»، وخلال السَّرْد الرِّوائي: يستعيد الكاتب على لسان بطله أحداث طفولته مع عمه أندريز، وكذا والده الحلاق الذي كان ينفق من مكاسب مهنته المتواضعة على أفراد أسرته إلى أن يفاجئه الموت، والكاتب يستخدم أيضاً تواجد موظفي الشركة في مأتم رئيس القسم بنفس الشركة؛ لتبادل التعليق حول موضوعات شَتَّى: من بينها أنَّ موت رئيس القسم سوف يفسح الطريق أمام بطل الرواية ماتيو للترقيّ، وعندما ينقطع حبل الحديث يعود ماتيو للاسترسال مع أفكاره الخاصَّة: همومه العائلية، حياته مع زوجته التي تصغره بأكثر من عشر سنوات، وكذا ولاؤها لحياتها الروتينية في المنزل: فهي تغسل الملابس وتشرف على الطعام وعندما ينتهي اليوم: ويبدأ الليل في بسط أجنحته على الكون: يجلسان معاً في غرفة نومهما يستذكران الأيام السعيدة، وهنا ينقل الكاتب لَوحَة واضحة لمعالم الحياة اليومية التي يعيشها موظف صغير في مشاكله اليومية، وفي طموحه إلى الترقية.

وتزداد هموم الحياة على ماتيو فنجده بعد أن أصبح رئيساً للقسم في الشركة يحدِّث نفسه في مكتبه بصوت عال، ويفاجئه مُوظفوا الشركة وهو يتحدث مع نفسه، وتصل الأخبار لرئيس شؤون العاملين فيستدعيه في مكتبه، ويقترح عليه عرض نفسه

على إخصّائي نفسي، وهذا الأخير ينصحه بقضاء أجازةٍ في مكان هادىء يُعيد إليه هدوء نفسه وصفاء ذهنه.

وتستمرّ الرواية في هذا الإطار المؤثر الخلاب، والجديد هنا أنَّ الروائي يقترب أكثر وبصورة مباشرة من مشكلات الإنسان المعاصر في مجتمع المدينا: بزحامها الخانق، ومتناقضاتها الكثيرة.

وهذا ما جعله بحقٍّ خير ممثل للروائيين الفنزويليين المعاصرين، ومن أجل هذا وجدت رواياته قبولاً واسعاً في الكثير من دول أوروبا وأمريكا، كما تُرجمت إلى الكثير من اللغات.

* * *

تيريز دي لا بارّا Teresa de la Parra
رائدة الأدب النسائي في فنزويلا

مولدها ونشأتها: شخصيتنا من مواليد ٥ أكتوبر عام ١٨٨٩م، وُلدت في عاصمة النور باريس لأبوين فنزويليين، والجدير بالذِّكر أنه وُلدت في نفس العام صديقة لها؛ وشاعرة من أمريكا الجنوبية هي: جابرييلا مسترال الحائزة على جائزة نوبل، والعجيب الغريب: أن عام ١٨٨٩م كان عاماً حافلاً بميلاد شخصيّات أدبيّة وعلمية هامة على مستوى العالم كلُّه، وكأنما اتّفق عُظماء الأَدب والفَنّ عَلى أَنْ يَلتقُوا بميلادهم في ذلك العام المجيد.

ووالد تيريزا: رافائيل بارّا هرنايز (Rafael Parra Hernaiz) كان قُنصلاً عاماً لفنزويلا في برلين، كما كانت والدتها إيزابيل سانوخو (Isabel Sanojo) واحدة من فُضليات النساء الفنزويليات.

وقضت تيريزا طفولتها في ضيعة خارج العاصمة الفنزويلية كراكاس، وهي تحكي ذكريات طفولتها السَّعيدة في هذه الضيعة في روايتها الشّهيرة: «ذكريات ماما بلانكا».

وتُوفي والدها وهي في الثامنة من عمرها، ولذا فقد انتقلت مع والدتها وجدَّتها لتعيش في إسبانيا، وهناك أكملت مراحل تعليمها الأولى.

وتذكر فيما تذكر عن أسرتها: بأنَّ أمها وجدَّتها: كانتا تنتميان بعاداتهما وتقاليدهما إلى المجتمع الكولونيال المحافظ بكراكاس، ولهذا كانت نشأتها نشأةً دينيّة كاثوليكية محافظة، وعادت تيريزا لفنزويلا عند بلوغها الثامنة عشرة من عمرها، حيث قضت وقتاً طويلاً في الريف الفنزويلي، وهو ما تسجّل انطباعاتها عنه في روايتها الرائعة «ذكريات ماما بلانكا» وفي كراكاس: شاهدت عن قُرب كيف أنَّ الجيل الجديد من الشبان والفتيات الفنزويليات يعيش في واقع العصر من خلال قراءاته التي كانت تمثل بالنسبة لتلك الشبيبة رحلة خلال ثقافات أخرى، وهو ما صنع في نفوس هؤلاء الشباب نوعاً من الصراع النفسي بين حاضر يعيشونه، ومستقبل أفضل يتطلّعون إليه.

ولا بدَّ أنَّ الصبية اليافعة تيريزا: التي قضت سنوات

دراستها في أسبانيا، وعاصرت تحرر المرأة في أوروبا، لا بدَّ أنَّ هذا أحيا في نفسها الصراع بين حضارة العالم القديم والجديد.

وهو ما أوحى لها بفكرة أول رواية لها «إيفجينيا» (Ifiginia)، وكانت الرواية مرآة صادقة لفتاة فنزويلية عاشت سنوات شبابها في باريس لتعود للعاصمة الفنزويلية وهي تحمل في داخلها بذور الثورة على العادات والتَّقاليد.

وفي عام ١٩٢٣م انتقلت الكاتبة إلى باريس، وعند حلول عام ١٩٢٨م كانت قد انتهت من كتابة روايتها الثانية «ذكريات ماما بلانكا».

نظرة في علمها الأدبي: في روايتها الأولى «إيفجينيا» نجد روح الثورة على وضع المرأة في فنزويلا في نهاية القرن الماضي، ومطلع القرن الحالي، المرأة التي لم يُعطها المجتمع الفنزويلي حقوقها كاملة: حقها في اختيار زوجها، وكذا في اختيار لون الحياة الذي يتلاءم مع إنسانة مثقفة، حقها في التَّعبير عن أفكارها بحُرية وبصوت عالٍ.

وروايتها إيفجينيا: هي في تصوري: صورة تيريزا دي لا بارّا ابنة الدبلوماسي الفنزويلي الذي يعمل في العواصم الأوروبية، وتنتقل ابنته معه لتلتقط بعض العادات الأوروبية أَوَّل الأمر دون وعي بذلك، وتترك حياتها في أوروبا بصمات عميقةٍ في سلوكها وعاداتها، ولهذا فإنَّ الرواية: أَشْبَه ما تكون بسيرة حياتها مع بعض التعديلات الفنية التي يتطلبها العمل الروائي. وأعني بهذا: أنَّ جوهر الرواية: وهو الثورة على العادات

الجامدة في مجتمع العاصمة الفنزويلية آنذاك، هو بلا شك فكرة تيريزا دي لا بارّا عن هذا المجتمع، وهذه الفكرة كانت تعرضها على استحياء في روايتها أول الأمر، ثم أصبحت فيما بعد فكرةً راسخةً واضحة المعالم، والقارىء المتعمِّق يلاحظ كثيراً من أوجه الشبه بين شخصيتها وشخصية إيفجينيا وقد ظهرت روايتها الأولى «إيفجينيا» عام ١٩٢٤م.

وتتشابك أحداث الرّواية من خلال مجموعة من الرسائل كتبتها إيفجينيا لصديقة لها هي كريستينا دي إتوربي (Cristina de Iturbe)، ومن خلال هذه الرسائل تنسج المُؤلفة أحداث الرواية في أسلوب تقريري مباشر، يعكس كما يذكر النقّاد الفنزويليّون مأساة المرأة في الجيل الماضي، المرأة التي تتحكَّم فيها التقاليد، وتجعلها أسيرةً لا تستطيع رغم ثقافتها الباريسيّة أَنْ تتحرَّر من العادات الاجتماعية، التي تبدو كما لو كانت سيفاً مُسَلطاً على رقبة المرأة الفنزويلية.

وإيفجينيا أو ماريا ألونسو كما تدعوها في الرواية: تشرب عادات الحرية والانطلاق في مدينة النُّور، تعود ماريّا إلى كراكاس بعد موت والدها؛ وتقع في حب طبيب فنزويلي هو جابرييل أوليميدو (Gabriel Olmedo)، ويَربط العاشقين أَواصر غرام عنيف، وتنمو زهور هذا الحب تحت رعاية عمها بانشو (Pancho) الذي كان يمُدَّ لها طريق ترعرع وازدهار هذه العاطفة. وتلتقي مع حبيبها في بيت صديقة لها: هي مرسيديس جالندو (Mercedes Galindo) كان بيتها مُنتدى للفنزويليين المتفرنسين، وكذا أيضاً أنصار التحرّر من الجنسين، وخلال هذا

تعرض الكاتبة لوحات من الحياة اليوميّة في العاصمة كراكاس في مطلع القرن الحالي. سهرات الصّفوة مِن المجتمع الفنزويلي في أماكن اللَّهو وبيوت المُتعة.

من أبرزها حياة الساسة ورجال الأدب والأعمال، حيث يلتقون جميعاً في بيت للمتعة تدبيره «مدام كوكو» (Koko)، يلتقي الساسة في هذه اللَّيالي لداعرة عند مدام كوكو حيث تجري مناقشة أهمّ المسائل السياسية والاجتماعية التي تؤرِّق المجتمع الفنزويلي، بيت مدام كوكو كان يمثل المُتنفَّس لرجال الدولة في المجتمع الفنزويلي، هناك طرح الجميع متاعبهم تحت أقدام غانية شابة، وبين صوت الكؤوس ونبرات الحديث الهامسة ينقضي اللَّيل على نحو بهيج.

وماريا إيوهنيا ألونسو: تحت ضغط جَدّتها وعَمَّتها كلارا (Clara) تتزوج من سيزر لِيَال (Cesar Leal)، واحد من الفنزويليين القريبين من موقع السّلطة الحاكمة: يُصبح وزيراً فيما بعد.

تنتهي الرّواية برضوخ ماريّا إيوجينا لواقع العادات والتقاليد تحت الضغط الشديد لعمها دواردو (Edwardo) وجدتها، وكذا عمّتها كلارا، وتتزوج مِمَّن اختارته لها الأسرة، إيفجينيا كما تُصورها الكاتبة إذن: هي ضحيّة العادات والتقاليد التي كانت تكبّل سلوك المرأة الفنزويلية في القرن الماضي، وتضع في طريق حُرِّيتها السُّدود والعراقيل.

والرواية إذن: ليست أكثر من صرخة احتجاج على مُجتمع

ظالم يسجن حرية المرأة في قفص ضاغط من تقاليد لا ترحم.

وكما ذكرنا في سطور سابقة: فإنَّ الكاتبة التي عاشت صِراع المرأة بين القديم والجديد في القرن الماضي، استطاعت أن ترسم ملامح هذا الصِّراع في روايتها إيفجينيا على نحو فصيح.

تيريزا دي لَا بارّا: الأديبة البارزة: تُشكل أوَّل خَط ريادي في الأدب النِّسائي بفنزويلا: قرأت في الأدب الفرنسي من خلال اللُّغة الفرنسية التي أجادتها على نحو كامل، ولا غرو في هذا فقد عاشت في باريس جزءاً كبيراً من حياتها، وكانت صديقة لأبرز أدباء فرنسا وأسبانيا وفنزويلا، وهذا ما نعكسه خطاباتها للأديب والفيلسوف الأسباني الأشهر ميجيل أونامونو (Miguel Unamuno)، وكذا مع جابرييلا مسترال الشاعرة الشيليَّة الحائزة على جائزة نوبل، وكذا مع اثنين من أبرز الكتّاب الفنزويليين هما: فسنتي ليكونا، وليساندرو ألفارادو. وقد أصدرت روايتها الثانية ذكريات ماما بلانكا» بعد ظهور روايتها الأولى بخمسة سنوات، والرواية الثانية: تحكي ذكريات طفولة المُؤلفة السعيدة بضيعة الأسرة خارج كراكس، ولعلَّها في هذا تشبه كتاب «أحاديث جدَّتي للأديبة المصرية الشهيرة: سهير القلماوي، وكما يذكر النقاد: فإنَّ روايتها «ذكريات ماما بلانكا» تؤكِّد، وتعني عودة الكاتبة إلى الواقع الفنزويلي بعد هجرة إلى الثقافة الأوروبية. روايتها الأولى إيفجينيا» تُمثِّل ثورة الشَّباب على تقاليد المجتمع الفنزويلي في أواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن، على حين أنَّ روايتها الثانية «ماما بلانكا»: تحكي شوق

المهاجر العائد إلى أصالته، إلى مقومات شخصيته القومية بعد رحلة تائهة في الثقافات الأخرى كان حصادها الاغتراب عن الذات.

والمُلاحظ أنَّ الجمهور التقليدي المحافظ بفنزويلا قابل روايتها الثانية «ماما بلانكا» بترحاب كبير، بينما أُصيب قُراء روايتها الأولى إيفجينيا بخيبة أمل شديدة، حيث كانوا يتوقَّعون منها الاستمرار في الخط الثوري الذي خطت معالمه في روايتها الأولى.

مجمل القول: أنَّ كاتبتنا بروايتَيها «إيفجينيا، وذكريات ماما بلانكا» قد حققت لنفسها موقعاً في الصفوف الأولى بين أدباء أمريكا اللاتينية، وهي في هذا الصدد يمكن مقارنتها بشارلوت برونتي (Charlotte Bronte) وشقيقتها إميلي برونتي، وكلتاهما من رائدات الأدب النِّسائي في إنجلترا.

وفي آخر سنوات حياتها: كان لديها مشروع أدبي لكتابة تاريخ حياة سيمون بوليفار، محرر فنزويلا، في إطار جديد يتناول الجانب الإِنساني من بوليفار، بعيداً عن شخصيته كمحارب، وقد بذلت في هذا جهداً مشكوراً، حققت فيه من المستندات والوثائق التاريخية ما كان يمكن أن يصنع من محاولتها عملاً أدبيّاً ضخماً، ولكنّ المنيّة عاجلتها قبل أن تنجز مشروعها التاريخي الأدبي الكبير.

ماتت قبل أن تُحقق حلمها العظيم، إلاَّ إنّها مع ذلك تبقى صورة مشرقة مُشرِّفة للأديبة التي أَثْـرَت الأدب الفنزويلي عامةً،

والأدب النسائي خاصة، على نحو جعل منها وبحقّ واحدة من أَلمعْ رائدات هذا الأدب في فنزويلا وأمريكا اللاتينية.

* * *

راموس سكري Ramos Sucre
أبـرز روّاد الرومانتيكية الفنزويلـية

وُلد شاعرنا في التاسع من أبريل لعام ١٨٩٠م. وأمه حفيدة الكولونيل: خوزيه هيرونيمو سكري (José Geronimo Sucre)، شقيق المارشال: خوزيه أنطونيو سكري (José Antonio Sucre) بطل تحرير الإكوادور. وكان عمه قسيساً مثقفاً غرس فيه حب المعرفة، كما كانت مكتبة العم تمثل له الملجأ والملاذ الأومين. وقد تعلم الشاعر بمجهوده الخاص في سن الرابعة عشر وحتى سن العشرين اللغات: اللاتينية، الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية والإيطالية. وعند حصوله على الثانوية العامة «البكالوريا»، انتقل إلى العاصمة كراكس، حيث درس الحقوق والأدب على مدى عامين بالجامعة، إلاَّ أن وباءً انتشر آنذاك مما ترتب عليه إغلاق الجامعة، وهذا اضّطره للدراسة بمجهوده الخاص.

وقد حصل الشاعر على ليسانس الحقوق من الجامعة المركزية الفنزويلية، كما حصل على الدكتوراة في العلوم السياسية من نفس الجامعة في عام ١٩١٧م. وقد أضاف للغات السابقة التي ذكرناها: تعلم اللغات الروسية، الهولندية والبرتغالية.

وظل يعمل مترجماً بوزارة الخارجية الفنزويلية طوال أربعة عشر عاماً. وفي نفس الوقت كان يعطي دروساً في اللغة اللاتينية بمدرسة أندريز بيو (Andrés Bello) الثانوية، وكان مدير المدرسة آنذاك الروائي الفنزويلي العالمي رومولو جايجوس (Romulo Gallegos).

وهذا التفرغ الكامل للدراسة والتحصيل العلمي صنع منه إنساناً منعزلاً قليل الأصدقاء.

وكان الأرق الدائم يكاد يفقده لذة الحياة، فكان يقضي ساعات الليل الطويلة ساهراً. وهذا ما دفعه لأن يطلب من وزارة الخارجية أن تعينه في إحدى سفاراتها بالخارج، لعل التغيير يفيد صحته، فتم تعيينه قنصلاً لفنزويلا في جنيف، إلاَّ أن الأرق لم يفارقه، مما دعا إلى نقله إلى مصحة بهمبورج بألمانيا. وفي نوبة يأس من الشفاء من عذاب الأرق الدائم يقوم بمحاولة للانتحار، ويموت بعد أيام من هذه المحاولة.

خصائص شعره: الحق أن مراجعة قائمة الكتب التي كانت تحتويها مكتبته توضح لنا مصادر ثقافته العميقة. فمكتبته كانت حافلة بكنوز المعرفة الإنسانية. كان بها كتباً لفرجيل (Virgilio)، هوراسيو (Horacio)، سينيكا (Séneca)، روجر بيكون (Roger Bacon)، إسبينوزا (Espinoza)، وليبنز (Leibniz). كما كانت بها كتباً لعمالقة المسرح الإغريقي: مثل أخيلوس (Esquilos)، إيروبيدس (Euripides)، سوفوكليس (Sofocles)، وأرستوفان (Aristofanes).

وكـذا كتبـاً للفـلاسفـة مـن أمثـال: أفـلاطـون (Platon)، وابن سينا (Avicena)، كانط (Kant)، ديكارت (Descarte)، وبسكـال (Pascale)، كيـركجـورد (Kierk goard)، نيتشـه (Nietzche).

هذه بعض الأمثلة التي تعطي الدليل على تنوُّع قراءاته وتشعبهـا. هـذا فضـلاً عـن قـراءاتـه فـي الشعـراء الـرومـانتيكيـين الفرنسيين والألمان، ونذكر شاعراً فرنسياً هو جيرارد دي نرفال (Gerard de Nerval) كان تأثره به عظيماً، أو بعبارة أخرى كان شاعره الأثير، ونرفال يقدم لنا المفتاح لفهم شعره، والذي يعتبر إلى حد كبير مفتاحاً لفهم شعر راموس سكري.

يقول نرفال: «إنّه عن طريق العبارات فإن الشاعر يملك أداةً لفتـح الأبـواب السـرّيّة الغـامضـة التـي تفصلنـا عـن العـالـم اللامرئي». وهنا يصبح الحس الشعري أشبه بالحس الصوفي. وهـذا يعنـي أن الشـاعـر لإحسـاسـه المـرهـف يرى مـا لا يمكـن للشخص العادي أن يراه، ويحس ما يستعصي على إحساس عامة الناس. كما أنّه في رأي نرفال (Nerval):

«فإن الحلم وسيلة لاكتشاف آخر الحقائق، أو هو هبوط إلى جحيم الذات».

وفي أشعار سكري نكتشف عالماً مليئاً بأفكار ميثولوجية، عالماً حافلاً بالطيور الغريبة وأبطال الأساطير، ونرى في هذا العالم أنهاراً تجري تحت الأرض وأعشاباً زرقاء. ولكأنما كان الشاعر يونانياً ولد خارج اليونان أثناء ازدهارها الثقافي. وشاعرنا

رومانتيكي النزعة إلاَّ أن رومانتيكيته من نوع خاص يفيض بالألوان الرمادية والسوداء.

المغزى السيكلوجي الكامن وراء الاتجاه التشاؤمي في شعر سكري: الشعر بالنسبة له: كان ملجأ للهروب من واقع أليم لا يعطيه الإشباع الكامل أو السعادة المرجوة. وهنا لا بد أن نذكر بأنه عاصر أسوأ عصر دكتاتوري في فنزويلا، وأعني به فترة حكم الدكتاتور جوميص.

وكما يذكر بعض النقاد فإن جيل سكري هو جيل الضياع، جيل يكتب عن أمجاد الماضي البطولي، لأن الحاضر لم يكن يقدم له إلاَّ المرارة والألم. والشاعر هنا يهجر الواقع البغيض ليصنع لنفسه عالماً من الصور الخيالية أشبه بأحلام اليقظة، عالماً تختلط فيه الميثولوجيا اليونانية بأساطيرها، وآلهتها الأولمبيّة، ومن هنا جاء الرمز والغموض في شعره.

وعلى القارىء أن يبذل جهداً لاستخراج المعنى الكامن في عبارته، ذلك أن الشاعر كان يدين بمبدأ أن التعبير الواضح يعتبر سوقياً، على حين أن العبارة الجميلة تكون عادة ملتفة بوشاح من الغموض، مثلها في ذلك مثل الغموض الذي يحيط بالمعابد القديمة، وهو ما يعطيها لمسة من السحر والجاذبية. وهذا يعني أن القارىء يلزم أن تتوفر له الثقافة العريضة كي يستمتع بشعر سكري وما ينطوي عليه من أفكار عميقة.

وفي السطور التالية نحب أن نعطي بعض النماذج الجميلة من شعره.

* في قصيدة من مجموعته الشعرية «برج الدّفّة» تدعى العـودة (elretorno)، يقـول الشـاعـر «بعـد أن اجتـزت بـاب الموت، وتوغلت في ذهول الخلود، في غموض هذا البعيد جـداً أَذَّن نـداء يقـول: أَوْقـف الهـارب، حيـث شعـرت ورائـي بضوضاء الحياة: مثلي في ذلك مثل عاشقة مهجورة محبة. عندئذ عدت راجعاً أخطو خطواتي».

وهذا يوضح اللون الرومانتيكي السائد في لغة الشاعر: فهو يبحث أولاً عن هذا المجهول «الموت» إلاَّ أن نداء الحياة القوي يدعوه، فيعود لاستئناف حياته.

* وفي قصيدة أخرى من مجموعة «برج الدفة» تدعى استهلال (Preludio) يقول فيها عبارات ذات مغزى عميق لفهم سيكلوجية الشاعر الذي يرفض واقعاً أليماً يعيش فيه يقول: «لكم أود أن أكون بين دياجير الظلام الفارغة، ذلك أن العالم يجرح حواسي بقسوة، والحياة تبتليني، هذه المعشوقة الوقحة التي تجرّعنن غصص المرارة، عندئذ تهجرني الذكريات التي تفر لتعود مرة أخرى، في إيقاع موجات لا تكل ولا تتعب، مثلها فـي ذلـك مثـل الـذئـاب العـاويـة التـي تنتشـر فـوق صحـراء مـن الثلوج».

وهذا اللون الرمادي الذي يصبغ القصيدة يوضح أن شعر سكري كان أشبه بتأريخ لحياته، وكما يذكر الشاعر الفنزويلي المعروف فرانسسكو بردمو: «لكأنما كان سكري لديه ميل للألم والمعاناة».

* وفي قصيدة أخرى بعنوان «حياة الملعون»، نقتبس منها بعض فقرات يقول فيها «أحب الألم، أحب الجمال والقسوة، وعلى الأخص هذه الأخيرة، لأنها تعمل على تدمير عالم مليء بالشر».

ومغزى القصيدة واضح في تفسير موقف الشاعر من العالم، وهذه أيضاً بعض ملامح الشعر الرومانتيكي وخصائصه.

وحول أسباب انتحار الشاعر: فقد تحريت هذا الموضوع من ابنة شقيقه: الدكتورة شيلا راموس فذكرت لي بأن عمها الشاعر ظل يعاني من الأرق الشديدة لمدة عامين لم يذق فيهما طعم النوم. وهو ما أدى به أيضاً إلى عدم القدرة على الإنتاج الأدبي. ولعل هذا هو ما دفعه في نوبة يأس بالإقدام على الانتحار. تمثلاً بقول الشاعر المتنبي:

كفى بك داءاً أن ترى الموت شافياً
وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وشاعرنا الرقيق الإحساس المرهف الشاعر عاش تجربة حب مع تلميذة له كان يعطيها دروساً في اللاتينية واليونانيّة، وكانت تدعى كارمن إلينا دي لاسكازاس (Carmen Elena de las casas).

وقد تكون هذه تجربة الحب الوحيدة التي مست شغاف قلبه، وألهمته بعض قصائده الجميلة. ومما يؤكد هذا أنه أهدى إليها أحد دواوين شعره اعترافاً بفضل هذه العاطفة الجميلة: وهذا الديوان يُدعى: «أشكال النار» (Las Formas del

Fuego). والفضول المعرفي للشاعر: كان يدفعه للبحث عن الصور الخيالية البديعة: في الأماكن الغامضة، في الليل البهيم: لأنّ الظلام تكمن فيه الأسرار. ولهذا فهو يستحق بجدارة لقب مكتشف التشبيهات الغريبة والصور الاستعارية غير المألوفة في الشعر الفنزويلي.

وقد كانت موضوعاته الأثيرة: الألم والرعب والموت، ولكنه كان يقف منها موقفاً إيجابياً بطولياً: يكافحها مثل سيزيف: «بطل الأسطورة الإغريقية». والسؤال الذي يمكن أن نطرحه هو: لماذا كان سكري تجتذبه الصور المؤلمة، وأساطير الرعب والألم. وتفسير ذلك كما يتفق عليه الكثير من النقاد: هو أن قراءات الشاعر العميقة في الفلسفة الشرقية: وعلى الخصوص ابن سينا واسبينوزا. كل هذا أدى إلى ارتباط الألم عنده بفكرة التطهير: لأن الألم يغسل الذنوب. وهذه فكرة معروفة في الأديان القديمة.

أيضاً نجد سكري في شعره يقدم لنا شخصية البطل. والبطولة هنا لا تنصب على الانتصار العسكري فقط. وإنما تعني التفوق والامتياز في كافة صوره.

فالبطل شخص ممتاز، هو نموذج الشخص المثالي أو السوبرمان (Superman). ولعلّه في هذا يقترب من مفهوم نيتشه عن البطولة، وفي أول مجموعة شعرية له بعنوان «بُرج الدفة» نجده يعرض ثمانية مقطوعات شعرية موجّهة لتقريظ أبطال حرب الاستقلال الفنزويليين: مثل بوليفار (Bolivar)،

وبرموديس (Bermudez)، وأنسواتيجي (Anzoategui).. وهو ما يقابل في الشعر العربي: «ديوان الحماسة».

خاصية أخرى للشاعر: وهي عدم استخدامه لاسم الموصول (Que) في شعره: وهو لم يصدر في هذا عن تعسف وخيلاء. وإنما باعثه على هذا: أنه كان يحوز ثروة لغوية واسعة، بحيث لم يجد صعوبة في استبعاد اسم الموصول من استخداماته التعبيرية، وذلك بهدف أن يقع عبء التعبير كاملاً على الفعل. وهو ما يوضح دون شك: أنه بالإضافة إلى كونه شاعراً مجيداً، كان أيضاً فقيهاً في اللغة ومرادفاتها.

وفي قصيدة شعرية له بعنوان: «الموكب ــ La procesion»، يقول فيها: «يتقدم العجوز نحو سبعة آلاف تمثال في كنيسة، وتهبط التماثيل من قاعدتها، وتتبع العجوز في الشارع كما لو كان شيئاً طبيعياً».

وهذه الصورة الخيالية تعطينا فكرة عن المدى: الذي كانت تحلِّق فيه أجنحة الخيال عند الشاعر، وهو خيال كان يحلق به بعيداً وفي عصور وأماكن بعيدة.

وشاعرنا مُجدّد: لأنه لا يلتزم بالصيغ التقليدية في الشعر مثل القافية: هو يدخل مباشرة في الصورة الشعرية لينقلها للقارىء دون تعسّف في التعبير. وعبارته موجزة إلاَّ أنها حافلة بالرموز. ولقد كان الرمز دائماً ملاذاً للمثقفين والكتاب، خاصة في عصور الطغيان. حيث كانت الكلمة تعتبر أشد خطورة من السلاح.

وبعد: فهذه كلمة موجزة عن أبرز رواد الرومانسية في الشعر الفنزويلي. تحية للشاعر العظيم الذي أعطى الإنسانية المثقفة أجمل الشعر وأروعه.

* * *

فسنتي هرباسي Vicente Gerbasi
الشاعر الفيلسوف

نبذة عن حياته: ولد الشاعر الفنزويلي الشهير في الثاني من يونيه لعام ١٩١٣. في محافظة كارابوبو (Carabobo) الفنزويلية، أي قبل عام من اندلاع الحرب العالمية الأولى. ودرس الأدب والفلسفة في فلورنسا بإيطاليا. ولعل دراسته الفلسفية هي التي تركت في شعره هذا الطابع التأملي، مثله في هذا مثل الشاعر الإسباني الأشهر أنطونيو ماتشادو (Antonio Machado).

نشاطه الثقافي في فنزويلا: شاعرنا هو مؤسس مجلة بيتاكورا (Bitacora) عام ٤٣، ١٩٤٤م، وأيضاً جماعة الجمعة (Viernes) وكذا مجلة الجمعة، والتي كانت تضم نخبة من المثقفين الفنزويليين. بالإضافة إلى هذا فقد كان يشرف على الصفحة الخاصة بالشعر في صحيفة الناسيونال (elnacional) الفنزويلية الواسعة الانتشار. كان الشاعر ينشر مقالاته الأدبية بصحيفة الأونيفرسال (Universal) الفنزويلية، وكذا صحيفة ألتيمبو (eltiempo) بكلومبيا، وأيضاً لمجلة أمريكا الكولومبية (Revista America)، بالإضافة إلى مجلة (Ibero america)

بالمكسيك. وفي عام ١٣٩ ١م شغل منصب سكرتير تحرير المجلة الوطنية للثقافة (La Revista Nacional de La Cultira)، وهي مجلة ذات، أهمية كبرى في الحياة الثقافية والأدبية في فنزويلا.

وكان يشغل هذا المنصب من قبله الأديب الفنزويلي الشهير ماريانو بيكون سالاس (Mariano picon Salas). وجدير بالذكر أن الشاعر فستني هرباسي ما زال يشغل منصب مدير المجلة المذكورة حتى اليوم. وقد حصل لهذا النشاط الأدبي المكثف على جائزة مجلس لبلدية (في الشعر) في فنزويلا عام ١٩٤٤م، كما حصل على الجائزة الوطنية الفنزويلية في الأدب عامي ٦٧، ٦٨ على التوالي.

وأخيراً تم تعيينه عضواً بمجمع اللغة الفنزويلية.

وقد تم ترجمة جزء كبير من شعره إلى لغات متعددة كالإيطالية، الألمانية، الإنجليزية والدنماركية.

نظرة في عمله الأدبي هرباس شاعر الذكريات، فذاكرته التي يحتفظ فيها بأحداث طفولته التي تمتزج فيها الوراثة الإيطالية والأمريكية، أعطته حساسية شعرية فائقة. فهو واحد من شعراء القمّة في فنزويلا وأمريكا اللاتينية. وواحد من أعماله الشعرية الهامة. مجموعته المسماة «أبي المهاجر» في هذه المجموعة الشعرية الجميلة. يعيش هرباسي ذكريات والده الإيطالي المهاجر إلى فنزويلا والمتوفى بها. ونجده يتحدث فيها عن فنزويلا بحيواناتها وغاباتها في نغمة حب وإعزاز تبرزها لغة

شعرية ذات طابع عالمي.

فهو كما يذكر النقاد: شاعر تدين له بالكثير لغة الجمال الشعرية الفنزويلية المعاصرة. هو شاعر يستقرىء وجدانه الداخلي المشحون بذكريات والده المهاجر، والمنصهر داخل بوتقة جمال الطبيعة الفنزويلي ليقدم لنا صورة شعرية فائقة الجمال والروعة.

والحق أن ظهور مجموعته الشعرية «أبـي المهاجر» يعتبر حدثاً ذا أهمية فريدة في نوعه، لأنه يؤكد درجة الامتياز الشعري في موهبة الشاعر كما يقول النقاد، فضلاً عن أنه عمل يتميز بالخيال الرائع، ويؤكد موقف الشاعر الفلسفي التأملي أمام القدر، بحيث نجده يتحرر من الأحزان الرومانسية ليستكشف الإمكانيات التعبيرية التي يمكن أن تعطيها اللغة الجميلة كأداة للشعر.

وهذه المقدرة الشعرية الفائقة التي يستمتع بها شاعرنا تم ترسيخها في مجموعته الثانية المدعوة «الفراغات الحارة» والتي نشرها عام ١٩٥٢م. ففي هذه المجموعة حديث جميل عن الطفولة تبرزه لغة فنية دقيقة، وهي تعتبر من وجهة نظر الشاعر أحسن مجموعاته الشعرية.

والإنتاج الغزير للشاعر دائم التدفق، فنجده ينشر مجموعة ثالثة يدعوها «شعر الرحلات ـــ (Poésia de viajes)، يقدم لنا فيها عصارة تجربته الشعرية خلال رحلاته الكثيرة أثناء عمله كدبلوماسي في أوروبا والشرق الأوسط. وذلك في صورة

شعرية جديدة يلتقي فيها التأمل مع الأسطورة. وهنا لا ينبغي أن نغفل أن الشاعر درس الفلسفة، مما صبغ شعره بهذا الطابع التأملي، وكذا أعطاه الخبرة في التعبير بلغة جديدة جميلة، تعرف كيف تصوغ الفكرة في لفظ واضح جليّ يزينه الجمال. ونعرض فيما يلي على سبيل المثال لا الحصر نماذج من أهم دواوينه.

في قصيدة من مجموعته الشعرية المعروفة «أبي المهاجر»، يقول:

على حافة بحير سأعيش في ظل شُهادي
مثل ساحر عجوز يطلق خلال سهاده
قيثارته المشتعلة نحو السموات.

وفي قصيدة أخرى من نفس المجموعة يقول:

أتينا من الليل وسنعود إلى الليل
وبقيت الأرض من خلفنا ملتحفة ببخارها
حيث تعيش شجرة اللوز،
كما يعيش الطفل والفهد.
من خلفنا بقيت المقابر
تحت أقدام شجرة السرو.
وحيدة مثل حزن النجوم البعيدة.
من خلفنا بقيت الأبواب تشكو من الريح
من خلفنا بقي الزمن مثل مأساة الإنسان
أتينا من الليل وسنعود إلى الليل

بخطواتنا في التراب والنار والدماء
والعرق فوق جباهنا
والأيدي فوق الأكتاف
والبكاء في الذاكرة
كل هذا كان مغلقاً بخاتم من الظل.

في هذه الأبيات المعبرة من قصيدة الشاعر نلمح الخيال الرائع المشوب بالنظرة الفلسفية، مع نبرة حزن واضحة، وكلها خصائص الرومانسية التي تأثر بها هرباسي عن طريق روادها رامبو وبودلير في فرنسا، وهايني وجوته في ألمانيا.

ومن قصيدة أخرى من مجموعته المدعوة «الفراغات الحارة» يقول مستعرضاً صوراً سعيدة من طفولته:

«أحبك يا طفولتي لأنك أهديت لي الأمطار.
التي جعلت الجداول يزداد ماؤها في قريتي.
لأنك منحت عينـاي قوس قزح فوق التلال.
ما زالت أشجار البرتقال التي زرعها أبـي
موجودة في فناء منزلنا.
وكذا «الفرن» التي كانت تصنع فيه أمي
الخبز والكعك بالسكّر والقرفة.
ما زلت أذكر كلبنا الذي كان يداعبني،
ويعضّ ساقاي ويدي
وعندئذ تظهر فيهما نقاط الدم مع ألم خفيف.
إلاّ أنّ كل هذا: كان يزول أثره

مع مذاق «الجوافة».

في هذه القصيدة الجميلة التي تشبه لوحة جميلة معبرة، يرسم لنا الشاعر في براعة ودقة ذكريات طفولة سعيدة عاشها بين أحضان أمه وأبيه، ورفقة كلبه الذي كان يداعبه أحياناً بعضة خفيفة حانية في يديه وساقيه، تسبب له ألماً خفيفاً يزول أثره مع مذاق «الجوافة» الشهي في فمه.

وفي قصيدة أخرى من مجموعة شعرية «أشعار الرحلات» تحت عنوان تذكّر: يقول:

على ضفاف النيل
كان الطلبة يتحادثون في الجغرافيا
وذلك أثناء مرور السفن بأسمائها الأسطورية.
بينما كانت الشمس الحارة
تضبغ بالحمرة أشجار النخيل
في هذا الأصيل العتيق
كان الطلاب يقارنون نهزهم بنهر الأرينوكو
المُشيد فوق شطئانه
مدن ذات تصميم هندسي كوكبي
وكذا ألوان كوكبية.
ونفس الشطئان تزينها أشجار شبقه
من المناطق الحارة
تذكّر الطلاب بسندباد البحر
الذي كانت ترافقه نجمة في كل مغامراته

والذي كان يتعرَّف على الجزر من موسيقاها
وعندئذ يغني الطلاب تصاحبهم
الآلات الوترية
وكذا النَّاي الذي يستخدمه الرعاة
على طريقة بدو الصحراء
بينما تمر كيلوباترا في سفينتها
ذات الأشرعة البرتقالية
عند غروب الشمس.

في هذه الصورة الشعرية الرائعة التي يبسطها الشاعر أمام أعيننا. تظهر لنا لوحة جذابة للنيل. وكذا عرض لأسطورة سندباد ورحلاته الممتعة لجزر مجهولة غامضة، حيث تحلو المغامرة ويعذب الترحال.

* * *

رفائيل كاديناس Rafael Cadenas
الشاعر الفنزويلي المجدد

نبذة عن حياته: ولد شاعرنا في باركسيميتو (Barquisimito) التابعة لمحافظة لارا الفنزويلية في أبريل عام ١٩٣٠م. وعند بلوغه السادسة عشرة من عمره ظهرت له أول مجموعة شعرية بعنوان «الأغاني الأوليّة» طبعتها له «مجموعة المائدة المستديرة»، ولاتجاهه اليساري فقد اختار منفى له جزيرة ترينيداد في الفترة ما بين عام ١٩٥٢م وحتى عام ١٩٥٦، وذلك في الفترة التي كان يحكم فيها فنزويلا الدكتاتور بيريز هيمينيس

.(Peréz Jimenez)

والحق أن اختياره ترنيداد منفى له لم يخل من بعض المزايا، فقد أتاح له إجادة اللغة الإنجليزية إجادة تامة، مما فتح له مغاليق الأدب الإنجيزي الغنيّ بإبداعاته. وبعد عودته من ترينيداد ظهرت مجموعاته الشعرية المختلفة والتي من بينها «كراسات المنفى» في عام ١٩٦٠م. كما ظهر له عام ١٩٦٦م مجموعته الشعرية الثالثة الهامة بعنوان «مناورات زائفة». وقد فازت بجائزة خوزيه رفائيل بوكاتيرا.

وفضلاً عن إنتاجه الشعري الممتاز والقليل؛ فإن له ترجمات جيدة لفكتور سجالز (Victor Segales)، وكذا الجريفز (Graves)، كما يقوم الشاعر في نفس الوقت بتدريس الأدب في الجامعة المركزية لفنزويلية.

وله كتب في اللغة: مثل «الواقع والأدب».

ويبدو أن حياته في المنفى، بالإضافة إلى قراءاته الدائبة المتعمقة في الفيلسوف الهندي كحريشنا مورتي (Krishna murti). كل هذا صنع منه شخصاً خجولاً قليل الكلام، كثير التأمل.

وكان من ثمرة هذه القراءات اتجاهه إلى لون جديد من الشعر أكثر بساطة وأكثر اقتراباً من الحياة. كاديناس بعد قراءاته التأملية أخرج لنا لوناً رائعاً من الشعر الحزين في قصيدته المعروفة باسم «هزيمة ـ Derrota».

وبعض الأدباء الفنزويليين المعروفين مثل سلفادور

جارمنديا يرى أن هناك تشابهاً بينه وبين الشاعر الإسباني البارز خوان رامون هيمينيز، وكذا بين شاعر الهند الأكبر رابندرانات تاجور (Tagore)، حيث يجمعه مع هذين الشاعرين الطابع الإنساني: طابع النقاء والصفاء والوضوح. وأحد الشعراء ونقاد الأدب البارزين في فنزويلا هو خوان لسكانو (Juan Liscano) يقول عن شعر كاديناس: «يكفي أن تقرأ مجموعته الأولى «الأغاني الأوليّة» كي تدرك أن الشاعر يفيض بهذه الروحانية العالية، وكذا الموهبة اللغوية الفائقة»، وكأنما ولد ليكون شاعراً، وليكون صوتاً معبراً عن جيله كما يذكر النقاد.

وفي عام ١٩٧٨م طبع كاديناس مجموعتيه الشعريتين: «طقس ردىء ـــ Intemperie» ومذكرة ـــ Memorial».

والمجموعة الأخيرة تكفي لتضعه بين أبرز شعراء أمريكا اللاتينية المعاصرين. ولا شك أن أسلوبه المباشر الواضح الصريح يجد مكانه بسرعة في القلوب، وهو في هذا أشبه بكلومبس جديد يكتشف المشاعر الإنسانية ويعبر عنها بأسلوب مباشر، صريح يمسّ شغاف القلوب.

هذا، وقد فاز الشاعر بالجائزة الوطنية في الأدب في فنزويلا عام ١٩٨٥م، وهي أعلى جائزة يحصل عليها أديب أو شاعر في فنزويلا.

نظرة تقييم لشعره: رفائيل كاديناس من الشعراء الذين أثروا بأسلوبهم الجديد الشعر الفنزويلي. وقد يقال إن الشاعر رومانسي النزعة، أو يتجه بشعره نحو المذهب السيريالي.

ونحن بدورنا نقول: إن الرؤية الفلسفية واضحة في شعره، وهي رؤية تقترب من واقع الحياة وتضعه تحت منظار التأمل الفلسفي لتعطينا آخر الأمر لوحة شعرية جميلة، شديدة العمق ولكنها في نفس الوقت مليئة بالنزعة الإنسانية.

وكما يذكر الأديب الفنزويلي خوزيه بالزا (José Balza) عن مجموعته الشعرية «مُذكرة. بأنها تحمل عمق الرؤية الفلسفية تجعله يُدين، ويتهم ويضيء في حنان».

وسأدع للقارىء الفرصة كي يحكم على مقدرة الشاعر من خلال بعض النماذج التي سنترجمها في السطور التالية، ولعلها تكون كافية لإعطاء البرهان على درجة الامتياز الشعري للشاعر.

من أول مجموعة شعرية له «الأغاني الأولية»:

ـ بيتي وحيد حزين،
غادرناه يوماً بين وداع الأم الحزين،
كنا نطرق الباب، ولا أحد يجيب،
بيتي وحيد،
بيتنا وحيد يا أخي،
ولا أعرف ماذا بقي هناك بالداخل.
ـ أحب أن آخذك معي أيتها الوردة النقيّة.
إلى عالم أحلام
بطيء متمهل.
في أحزاني
أحب أن يكون لك، هدوء الغابة

حيث تتحدث القبلات عن الأشجار
أحب أن أجمع لك كل الطيور
ومجموعة أغانيها
أحب أن يكون لك شعراً طويلاً
مثل وداع الليل.
كل هذا أحبه لك أيتها الحبيبة.

وهذه القصيدة التي بدأ بها كادينانس حياته الشعرية المبكرة في السادسة عشرة من عمره توضح الموهبة الشعرية التي لازمت الشاعر.

ومن مجموعته الشعرية «كراسات المنفى»، يقول:

لم يرقص أسلافي أبداً في ضوء القمر
لم يكن بوسعهم قراءة آثار الطيور في السماء،
والتي تبدو مثل وصايا مبهمة للفناء
كانوا يجهلون البذخ الأرضي الممتاز

ومن مجموعته «مذكرة»، يقول:

لم أعد أعرف من أنا،
عندما أسمع اسمي،
أجهل ما يشير إليه،
هذا الصوت الغريب،
الذي يبدو كالتنفس.

ومن نفس المجموعة، يقول:

لن تزورني

لقد هجرت منطقتك
من أجل أخرى
فارغة
حيث أنتظر.

وفي هذه المقطوعات الشعرية: نجد أن كاديناس وكأنما تحوَّل الشعر بالنسبة له كمتنفس لآلامه الداخلية. وكما ذكرنا في سطور سابقة فإن قراءة الشاعر الكثيرة في كريشنا مورتي أعطى شعره هذه الصّبغة التأملية الفلسفية، مما جعل شعره أشبه بحديث النفس للنفس، النفس الحائرة التي تبحث عن الحقيقة، ولا تجد من يشعل لها الضوء لتتبيَّن معالم الطريق.

● ● ●

الرقص والباليه والموسيقى
في فنزويلا:
أهم الشخصيات البارزة
في هذا الفن

الفولكلـور الفنزويلـي

مما لا شك فيـه أن الشعـب الفنـزويلي يتميـز بطبيعتـه الموسيقية التي تهتز وتطرب للنغم الجميل. والحديث عن الفولكلور في فنزويلا يتطلب كتاباً خاصاً، فهو بحث شاق يحتاج لمن يتفرغ له بالبحث والدراسة. وفي هذه العجالة لا بد وأن أجتزىء بالإشارة العابرة للرقصات الفنزويلية الشهيرة. والرقص بطبيعة الحال يرتبط بالموسيقى، فالموسيقى لازمة تصاحب الراقص في حركاته، والموسيقى الفنزويلية تمثل بالطبع طبيعة الأجناس التي يتكون منها الشعب الفنزويلي، فنجد فيها الجانب الهندي والجانب الافريقي والعنصر الأوروبـي، وكلها عوامل اشتركت في تكوين ما ندعوه بالموسيقى الشعبية في فنزويلا. ومن الرقصات الشهيرة في فنزويلا رقصة لا تورا (La Tura)، وهي رقصة موسمية ترتبط بشهر يونيو عند نضوج عيدان الذرة، وهي تدعى لا تورا الصغيرة. وفي شهر سبتمبر تمارس هذه الرقصة أيضاً، لأنها عندئذٍ تدعى لاتورا الكبيرة، وهذه الرقصات الموسميّة ذات طابع زراعي، أعني أنه يحتفل بها في موسم زراعة الذرة، ويتم رقصها في محافظة لارا (Lara)، وكذا في محافظة فالكون (Falcon).

ولو تعرضنا بالتحليل لرقصة التورا نجد أنها ذات طابع

هندي، وتتخلل الرقصة صيحات، وصرخات قوية تستمر خلال الرقصة، ويصاحب حركاتها إيقاع آلة المراكس (Maracas) والناي. والرقصة الأخرى الشهيرة هي ماري ماري (Mare-Mare) ويتم رقصها في محافظة أنسواتيجي وبوليفار، وكذا في دلتا نهر أماكورو.

إلاَّ أن الرقصة القومية لفنزويلا دون منازع هي رقصة الخوربو (Joropo)، ويطلق هذا الاسم على الرقص الذي يرافقه إيقاع القيثارة والرباعي «وهي آلة موسيقية فنزويلية ذات أربع أوتار». فالخوروبو هو في الواقع موسيقى راقصة أو هو الرقص على موسيقى آلات هوائية، وكما أن السامبا هي رقصة البرازيل القومية، والرومبا هي رقصة كوبا الشعبية فإن الخوروبو هو رقصة فنزويلا القومية.

نبذة عن الرقص الشعبي: تطور الرقص الشعبي في فنزويلا على يد فرقة رقصات فنزويلا (Danzas Venezuela)، ونحب أن نعطي القارىء موجزاً سريعاً لتاريخ هذه الفرقة التي تتمتع بالتقدير والإعجاب داخل فنزويلا وخارجها، كما حازت راقصتها الأولى جولندا مورينو (Yolanda Moreno) بجدارة على لقب راقصة الشعب الفنزويلي. والحق أن المؤسس الحقيقي للفرقة هو مانويل رودريجز كارديناس وهو زوج راقصة الفرقة الأولى. وكانت الفرقة قبل ذلك تتبع قسم الترفيه بوزارة العمل الفنزويلية وكانت تدعى آنذاك مسرح العجائب، إلاَّ أنه بحلول عام ١٩٦٥م وإنشاء المعهد الوطني للثقافة والفنون الجميلة (Inciba)، تمَّ نقل الفرقة المذكورة من وزارة العمل

وأصبحت تسمى رقصات فنزويلا، وجدير بالذكر أن اللون القومي الذي تقدمه الفرقة جعلها محط الإعجاب والتقدير بحيث فازت بالكثير من الجوائز العالمية في روسيا والولايات المتحدة وكندا وإيطاليا، وهو ما يوضح أن الفرقة قد جابت ثلاثة أرباع الكرة الأرضية لتقدم لجمهور المتفرجين في العالم صورة متميزة للرقص الشعبي الفنزويلي. وآخر ما فازت به الفرقة تمثال المعبد الذهبي في المهرجان العالمي للفلكلور بإيطاليا، وهو المهرجان الذي تم تحت إشراف اليونسكو وحصلت فيه الفرقة على الجائزة الأولى.

* * *

الباليه الفنزويلي

نويفو موندو Nuevo Mundo

الحديث عن الباليه الفنزويلي الشهير يقودنا للحديث عن أعضاء فرقته والذين يبلغ عددهم ثمانية وثلاثين من راقصين وراقصات. وقد تكونت الفرقة أول الأمر تحت اسم الباليه العالمي لكراكس، ثم تغير اسمها إلى باليه الدنيا الجديدة وهذا يرتبط بالطبع بالاسم الذي أطلقه كريستوفر كولومبوس على أمريكا حين اكتشفها. وتقوم بإدارة الفرقة الراقصة الفنزويلية العالمية ساندرا رودريجز (Zhandra Rodriguez).

وجدير بالذكر أن الباليه الفنزويلي قد جاب أكثر من نصف العالم يعرض لوناً رائعاً من الأداء الرفيع. ونتيجة للجهد الشاق والمجهودات المكثفة من أعضاء الفرقة في التدريبات، هذا

فضلاً عن الموهبة والاستعداد العالي، كل هذا جعل باليه الدنيا الجديدة يحتل مكانه في الصدارة بين فرق الباليه في العالم، كما كان أيضاً لبراعة الراقصة الأولى للفرقة ومديرتها ساندرا رودريجز أن حظيت الفرقة بالعديد من جوائز التقدير العالمية، ودخل اسم ساندرا رودريجز موسوعات الرقص العالمية.

* * *

تيريزا كارّنيو
عازفة البيانو الأولى، على مستوى العالم

وُلدت الفنانة الفنزويلية العالمية في عام ١٨٥٣م، وكانت منذ حداثتها تعشق هذا الجمال الذي يملأ النفس بالبهجة والسعادة، كان إحساسها الفائق بالحياة يجعلها تهتز طرباً لرؤية الزهور أو الاستماع للموسيقى، وهو عشق لازمها طول حياتها حيث كانت على مدى خمسين عاماً تملأ صالونات الموسيقى في العالم بعزف روائع النغم. وفنانتنا الكبيرة من مواليد الثاني والعشرين من ديسمبر فهي تنتمي إذن لبرج الجدي، وهو برج يتميز أصحابه بالصلابة والعزم والصبر على مواجهة الصعاب وكذا الإرادة الحديدية، وهي صفات من شأنها أن تعطي لحاملها عناصر الفوز والانتصار. والحق أن تيريزا نشأت في بيئة تعشق الفن والموسيقى والأدب، كان أفراد أسرتها ابتداءً من جدها كايتانو (Cayetano) يتفوقون بمواهبهم في فن الرسم والشعر والموسيقى مما أعطاها هذه الحساسية الفائقة، حساسية الفنان المرهف الحس الذي يهتز للنغم الجميل كما يطرب للمنظر

الحسن. فوالدها مانويل أنطونيو كارينيو (Manuel Antonio Carreno)، كان موسيقياً كما أن عمها لأبيها «سيمون رودريجز» كان تربوياً شهيراً، ومن أمجاده أنه كان أستاذاً لسيمون بوليفار «محرر قارة أمريكا الجنوبية»، أما الوالدة فكانت كلورندا جارسيا دي سينا ورودريجز دل تورو (Clorinda Garcia de sena Rodriguez del toro) ابنة شقيقة زوجة المحرر سيمون بوليفار (Simon Bolivar).

البيانو هوايتها المفضلة: كانت الطفلة تيريزا يشدها البيانو فكانت تقترب منه على استحياء عندما كانت في الثالثة من عمرها، إلاَّ أنها في سن السادسة بدأت تدرس العزف على البيانو في جدية أكبر، وكان تقدمها في العزف يسير بخطى حثيثة حتى أنها في التاسعة من عمرها استطاعت أن تعزف على البيانو بعض القطع الموسيقية لشوبان (Chopin)، الذي ظل دائماً موسيقيها المفضل، وكان والدها مانويل أنطونيو يقف من خلفها يساندها ويعضدها، ويعطيها بعض دروس البيانو منذ أن لاحظ تعلقها الشديد بهذه الآلة الموسيقية وهو ما يذكرنا بليوبولد موتسارت (Leopold Mozart) والد الموسيقي الشهير فولفجانج أماديوس موتسارت (Wolfgang Amadeus Mozart)، وهي مقارنة نعقدها بين موتسارت وتيريزا لأن كلا الفنانين كانا يجيد العزف على البيانو منذ طفولته في أستاذية تتجاوز مستوى عمريهما. وقد أدرك والدها هذه الشرارة المقدسة التي تحوزها فقرر الانتقال بالطفلة الموهوبة إلى نيويورك في مطلع أغسطس لعام ١٨٦٢م. كان هذا على أثر موقف عابر يمكن أن نسميه

مصادفة من تلك المصادفات التي تصنع مصائر البشر. كانت الطفلة في غفلة من عيون الرقباء تقوم بالعزف على البيانو مما أثار اهتمام والدها الذي دخل متلصصاً يسترق السمع لطفلته الصغيرة، تعزف بعض الألحان الموسيقية بمهارة تبدو غير عادية من طفلة، وهو ما أثار العجب والإعجاب في نفس والدها الذي كان يستمع إليها دون أن تلتفت إلى ذلك، فما كان منه على أثر هذا إلاَّ أن اتخذ قرار تنمية هذه الموهبة الناشئة والسفر بأسرته إلى نيويورك. وهناك استمع إليها عازف البيانو والموسيقي الشهير جوتشالك (Gottchalk)، وأعجب بها مبدياً هذا الإعجاب في صورة قبلة طبعها على جبهتها. وفي مناسبة أخرى عزفت في حفل خاص فالس من تأليفها على شرف معلمها جوتشالك، وهو ما جعل عبارات الإعجاب والتقدير تتدفق على لسانه بهذه الطفلة المعجزة. كان جوتشالك يقول عنها: (إنها ليست فقط طفلة مدهشة بل إنها عبقرية حقيقية، وهذا ما يجعلني أفكر أن أكرس وقتي لتعليمها الموسيقي حتى تصبح شيئاً كبيراً وسوف تكونه).

وفي بوسطن عندما كانت تشترك مع أوركسترا مكونة من خمسين عازفاً في عزف كابرتشو مندلسن (Capricho Mendelsohn) علقت عليها إحدى الصحف قائلة: (أتيحت لنا فرصة حضور المعجزة الكبرى التي عرفها العالم منذ أن عرف العالم موتسارت)، وهذا ما يؤكده تعليق أستاذها جوتشالك الذي كان يقول عنها: (لقد ولدت للموسيقى، إنها تمتلك حاسة الجمال، إن مؤلفاتها الموسيقية تكشف رقة وحساسية فائقة تؤكد

انتماءها لهذه الطائفة التي ميزتها العناية الإلّهية وأعطتها التفوق).

ومن الأحداث المثيرة التي ملأتها وملأت أسرتها بالبهجة والسرور، أنه في خريف عام ١٨٦٣م دعاها الرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن (Abraham Lincoln) لتعزف له ولأسرته في البيت الأبيض. وتذكر هي فيما بعد أنها عندما انتهت من العزف على البيانو لاحظت أن عيون الرئيس الأمريكي كانت تمتلىء بالدموع، وكان عمرها آنذاك لا يتجاوز العاشرة.

تيريزا في باريس: وفي عاصمة النور تلتقي بشيخ الموسيقيين روسيني (Rosini) صاحب الافتتاحيات الشهيرة حلاق أشبيليه ووليام تل، وكان آنذاك شيخاً كبيراً، وتعزف الفنانة الصغيرة تكريماً له قطعة موسيقية من تأليفه تدعى (صلاة موسى في مصر) ويبتهج الفنان بعزفها الجميل بل ويدعوها زميلتي الصغيرة، ومنذ ذلك الحين ينضم إلى قائمة أصدقائها ومعجبيها الكثيرين.

وفي حفل موسيقي آخر استمع إليها الموسيقى العظيم فرانز ليست (Franz Liszt) وأبدى إعجابه الكبير بالفنانة الصغيرة قائلاً: (صغيرتي، إن الله قد منحك أعظم المواهب ألا وهي العبقرية). ومن ذلك الحين كان ليست وروسيني من المترددين الدائمين على حفلاتها الموسيقية. وهذا يعتبر شرفاً كبيراً لفنانة ناشئة كانت تضع قدميها على أول الطريق إلى المجد.

وكان المعجبون يقولون في إطرائها: (لو كان ليست خلق

على صورة امرأة لكانت هي تيريزا كارينيو). وكانت كما يقولون تمتلك هذا الحس الرقيق لبليني (Bellini)، والقوة الدراماتيكية لفردي (Verdi)، وأسلوب التعبير الرقيق لمندلسون (Mendelsohn).

الفنانة في العاصمة البريطانية: تسافر تيريزا إلى لندن يرافقها خطاب توصية من صديقها الموسيقي روسيني، وتلقى تيريزا الإعجاب والتقدير في صالات الموسيقى بلندن، إلاّ أن والدها يفكر في العودة بها إلى باريس لتستكمل دراستها الموسيقية على نحو منظم ويتولى تعليمها جورج متياس (George Mattias) أحد تلامذة شوبان، ومنذ ذلك الحين يتحول شوبان إلى موسيقيها المفضل. وفي مناسبة من المناسبات العابرة تلتقي في باريس بالموسيقي العظيم هيكتور برليوز (Hector Berlioz) ويغرقها بعبارات المديح والإعجاب. والجدير بالذكر أنها في باريس كانت تعطي مع والدها مانويل أنطونيو دروساً في تعليم البيانو وكان من بين تلامذتها مدام أوليفيه (Madame Olivier) ابنة الموسيقى العظيم فرانز ليست (Franz Liszt).

زواج الفنانة: تتزوج تيريزا من عازف الكمان سوريه (Sauret) بعد قصة غرام بين الاثنين، وتنجب الأم طفلة ثمرة لهذا الزواج إميليتا (Emilita) كما تنجب طفلاً آخر يموت وتكتمل الفاجعة بطلاقها من زواجها ووفاة والدها، فتتفرغ بكليتها إلى فنها، إلى موسيقاها: هي العزاء والسلوى للقلب الجريح المكلوم. تعود للزواج مرة أخرى من جيوفاني تاجليا

بيرتا (Giovanni Taglia Bierta)، وكان من ثمرة هذا الزواج طفلة دعتها لولو (Lulu)، وتعود تيريزا لتخرج إلى العالم طفلة جديدة تدعوها تيريزيتا (Teresita)، ومع ميلاد الطفلة الجديدة تقوم بجولة موسيقية في ألمانيا، وتعلق عليها الصحف الألمانية بأنها خير من يترجم ألحان شوبان، تعود الفنانة لتنجب طفلاً جميلاً تسميه جيوفاني.

رحلة إلى الوطن فنزويلا: تسافر تيريزا إلى فنزويلا بدعوة من رئيسها آنذاك خواكين كريسبو (Juaquin Crespo) وتستقبلها جماهير الشعب الفنزويلي كما لو كانت ملكة، يعزفون لها لسلام الوطني ويلقون عليها الزهور إعجاباً وتقديراً لفنها الكبير، وتقوم بعزف ألحان شوبان وليست، وتكريماً لها أهدوها مفتاح لمدينة ويدعوها الرئيس الفنزويلي جوزمان بلانكو للتعاقد عن لحكومة الفنزويلية لتكوين أوبرا تقدم أوبراتها في كاراكاس، وقبلت تيريزا العرض فسافرت إلى إيطاليا لتتعاقد مع الأفراد الذين ستتكون منهم الأوبرا. وقدمت الفرقة عروضاً شملت أوبرات شهيرة مثل كارمن لبيزيه وحلاق أشبيليه لروسيني ... إلخ، إلاَّ أنه إزاء النقد الذي لقيته الفرقة لم يتحقق لها الاستمرار.

تيريزا تعزف في برلين: بعد إعداد وتمرين يومي مستمر على العزف قامت الفنانة الفنزويلية بالسفر إلى برلين لتعزف كونشرتو البيانو لجريج (Grieg)، وكانت تخشى فيما بينها نقد الجمهور الألماني وهو جمهور له حاسته الموسيقية العالية، وهنا لا بد أن نتذكر أن كبار الموسيقيين في العالم أخرجتهم التربة

الألمانية: فبتهوفن وباخ وشومان وبرامز ومندلسون وفيبر وهندل كلهم ألمان. فالموسيقى الكلاسيكسية أعطت أحسن ثمارها في ألمانيا. من أجل هذا فإن أي موسيقي ناشىء كان يحج إلى ألمانيا كما يحج المسلمون إلى مكة. ولهذا فإننا لا نخطىء التقدير إذا قلنا إن الجمهور الألماني كان وما زال جمهوراً له قدرته العالية على التذوق الموسيقي الرفيع. ومع ذلك فإن رسوخ تيريزا في فنها جعلها تنتزع الإعجاب والتصفيق من الحاضرين لاستماع عزفها لموسيقى جريج بحيث أطلقوا عليها (لبؤة البيانو)، وكان بين الحاضرين الموسيقي الشهير هانزفون بيلوف (Hanzvon Bulow)، الذي علق قائلاً: (لا شك أنها أهم عازفة بيانو في وقتنا الحاضر). وكان بيلوف هو الذي طلب منها بعد ذلك أن تعزف كونشرتو البيانو لجريج تحت قيادته. وكان الحفل ناجحاً لدرجة أن علق عليه بيلوف نفسه قائلاً: (حقاً إن تيريزا تعتبر ظاهرة في عالم الموسيقى).

تستمر فنانتنا الكبيرة في انتصاراتها الموسيقية إن صح التعبير وتعود لعزف كونشرتو البيانو لجريج في ليبزج (Leipzig)، ويتصادف حضور المؤلف جريج الذي يقابلها بعد انتهاء العزف ليقول لها شاكراً ومعلقاً: (لم أكن أعلم أن مقطوعتي الموسيقية بهذا الجمال) ويهديها صورته)، بل ومنذ ذلك الحين يصبح من معجبيها وأصدقائها الذين يعشقون فنها الجميل. وفي عام ١٨٩١م تسافر إلى دول إسكاندينافيا، وهناك في إحدى حفلاتها الموسيقية يمنحها ملك السويد الميدالية الذهبية.

زواجها مرة أخرى: تعود الفنانة لتتزوج من عازف البيانو الشهير أويجين دالبرت (Eugen d'Albert)، وهو إنجليزي من أبوين ألمانيين، وتستمر سعيدة في زواجها أعواماً تعيش مع زوجها وتستقبل أصدقاءها من كبار الموسيقيين مثل برامز وفون بيلوف، إلاَّ أن الطلاق يكون مصير هذا الزواج في عام ١٨٩٥م.

جولاتها الموسيقية: تستمر فنانتنا في جولاتها الموسيقية فتزور أستراليا ونيوزيلاندا، يلاحقها الإعجاب والتقدير في كل مكان، لم تدع بلداً في العالم يطرب للموسيقى ويهتز لها إلاَّ وزارته، هي المسافرة المتجولة تبحث عن السلوى والعزاء في الموسيقى. ومن الطريف أن نذكر أنها في جولاتها الموسيقية تصل للقاهرة وتحصد الإعجاب والتقدير في الكونشرتو الذي عزفته في عاصمة بلاد الأهرام.

الراحة الأبدية للجسد المرهق: أخيراً حان للمسافرة الدائبة أن تستريح، جاء الوقت لعازفة البيانو التي طالما أشجت الأسماع بأعذب الألحان الموسيقية أن تعود إلى أمنا الأرض. انطفأت الشعلة العبقرية وأطلقت الفنانة أنفاسها الأخيرة في ١٢ يونيو من عام ١٩١٧م. وكان من بين الذين يحملون نعشها الفنان وعازف البيانو البولندي الشهير بادرفسكي (Paderwsky) الذي أصبح فيما بعد رئيساً لجمهورية بولندا، وفي العاصمة الفنزويلية في مقبرة العظماء الفنزويليين (Panteon nacional) يستريح رفات الفنانة الكبيرة بعد رحلة طويلة جابت فيها أرجاء

الكرة الأرضية تعزف على البيانو روائع شوبان وليست وبرامز وجريج وبيتهوفن.

نظرة تقييم لموسيقاها: مما لا شك فيه أن شهرة الفنانة الفنزويلية ترجع أولاً بالدرجة الأولى إلى أنها على حد تعبير فون بيلوف كانت أهم عازفة بيانو في عصرها، وفي هذا الصدد يمكن مقارنتها بكلارا شومان زوجة روبرت شومان وكذا بليست وأرتورو روبنشتين. وفي كثير من المناسبات كان نقاد الموسيقى يقولون: لو كان ليست خلق على صورة امرأة لكانت هي تيريزا كارينيو، إلاَّ أنها رغم تجوالها الكثير وسفرها المستمر استطاعت أن تختلس بعض الوقت للتفرغ للتأليف الموسيقي. ومن مؤلفاتها الموسيقية المعروفة: فالس تيريزيتا، سلة زهر، رقصة فنزويلية، نشيد بوليفار ورباعي وتريات.

والذين استمعوا إلى مؤلفاتها الموسيقية قد أدركوا موهبتها في التأليف. ولو استطاعت أن تجد وقتاً أكثر للتفرغ للتأليف لأخرجت موهبتها أبدع الألحان، هي إذن ضغوط الحياة الكثيرة لم تسمح لها بالوقت الكافي للتأليف. وهي أيضاً عازفة البيانو الأولى في عصرها بشهادة برامز وفون بيلوف وليست، والثلاثة يعتبرون من كبار الموسيقيين في كافة العصور. من ناحية أخرى فإن تأثرها بشوبان جعل موسيقاها تأخذ هذا الطابع الشاعري. فشوبان أو شاعر البيانو كما كان يدعوه معجبوه قد انتقل إليها فنه الكبير عن طريق تلميذه جورج متياس، وهذا الأخير درست تيريزا على يديه فن العزف على البيانو. وفالس تيريزيتا الذي أبدعته فنانتنا يعطينا صورة واضحة عن شاعريتها الموسيقية.

استطاعت تيريزا أن تجمع بين قوة ليست في عزفه وشاعرية شوبان في رقته مما جعلها تستحق بجدارة لقب «ليثة البيانو». تحية إلى روح الفنانة الكبيرة التي أسعدت الملايين على مدى خمسين عاماً وكانت ملء الأسماع والأبصار في عصرها.

* * *

أنطونيو لاورو Antonio Lauro

أمير الجيتارّا في فنزويلا

هو أحد كبار الموسيقيين الفنزويليين الذين ألّفوا للجيتارّا، وقد اختص بحبه هذه الآلة الموسيقية التي تصدر منها أروع الألحان، والتي هي صورة معدّلة لآلة العود العربية الأصل.

مولده ونشأته: ولد فناننا الكبير في الثالث من أغسطس لعام ١٩١٧م بمدينة بوليفر الفنزويلية، وكان أبوه مهاجراً إيطالياً، يعمل حلاّقاً وموسيقيّاً هاوياً، ولذا فقد تشرب ابنه منه حبّ الموسيقى منذ طفولته المبكرة.

وأنطونيو لاورو، تتلمذ بالمدرسة الموسيقية العليا التي تحمل اسم: «خوزيه أنهيل لاماس»

Escuela Superior De Musica: Jose Angel»
.«Lamas

حيث تلقّن مبادىء هذا الفن الرفيع على أمثل النظم وأحدثها على يد أشهر الموسيقيين اللامعين في فنزويلا، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر «إميليو سوهو ـ Emilio

«Sojo»، و «خوان باوتيستا بلازا ـ Juan Bautista Plaza»، و «راؤول بورهيس ـ Raul Borges». والأخير كان أستاذه في فن العزف على آلة الجيتارّا...

وما هو جدير بالذكر أن اثنين من أساتذته البارزين وهما: «إميليو سوخو، وخوان باوتسيتا بلازا «كان لهما دور كبير في إنقاذ التراث الموسيقي الفنزويلي، ودفع الحركة الموسيقية إلى الأمام، و «لاورو» كان في الثلاثينات من أشهر العازفين على البيانو، إلاَّ أن غرامه الدائم كان للجيتارّا التي أجاد معرفة أصولها ووقف على دقائق أسرارها على نحو جعل منه وبحق رائداً من كبار روّاد العزف والتأليف الموسيقي على المستويين الفنزويلي والعالمي...

وقد ظلّ «لاورو» طوال حياته يعطي دروساً في الموسيقى وينشىء جيلاً ممتازاً في عزفه وتوقيعه المتكامل على الجيتارّة، كما شغل منصب مدير لأوركسترا فنزويلا السيمفونية، ومنصب «أمين عام لنقابة المؤلفين الموسيقيين».

أهمّ مؤلفاته الموسيقية: ــ في عام ١٩٤٧ ألَّف مقطوعته الشهيرة: السيمفونية «غنّ بوضوح ـ Canta Claro»، مستوحياً في ذلك راوية الروائي الفنزويلي الأشهر «رمولو جاييجوس ـ Romulo Gallegos».

ــ وفي عامي ١٩٥١ و ١٩٥٢م، لم يمنعه اعتقاله بالسجن إبان حكم الدكتاتور «بيريز هيمينيز Perez jimenez» بسبب أفكاره الاشتراكية، من ممارسة التأليف لآلته الموسيقية

المفضلة «الجيتارّة» في هذه الفترة الأليمة من حياته، حيث وضع رائعته الشهيرة «الجناح الفنزويلي ـ La Suite Venezolana»، وهي مقطوعة موسيقية ذات أربع حركات، بالإضافة إلى مجموعة جميلة من السوناتات.

ـ وفي عام ١٩٥٦ ألَّف كونشرتو للجيتارّة حيث أهداها إلى صديقه وتلميذه عازف الجيتارّة الفنزويلي العالمي «أليريو ديّاز ـ Alirio Diaz»، وفي نفس العام ظهرت له منوّعات حول «أغنية للأطفال ـ Variacion Sobre Una Cancion Infantil»، وكذلك قام «لاورو» بنقل بعض أغنيات الموسيقي النمساوي الأشهر «فرانز شوبيرت» المعروفة باسم «Lieds» إلى الجيتارّة، ويقول في هذا الصدد كم لو كان شوبرت قد ألَّفها للجيتارّة خاصة...

ويطول بنا الحديث لو عدَّدنا الأعمال الكثيرة التي وضعها «لاورو»، ولكن يمكن القول باختصار أن إنتاجه الفني قد أثرى الأرشيف الموسيقي للجيتارّة، وهذا ما حدا بالحكومة الفنزويلية للإنعام عليه بأرفع الأوسمة. وقد تمّ تتويج ذلك بالجائزة الوطنية للموسيقى عام ١٩٨٥م وهي أعلى جوائز الدولة الفنزويلية.

نظرة تقييم لعمله الموسيقي: ممّا لا شك فيه أن أبرز مؤلفات «لاورو ـ Lauro» الموسيقية كانت للجيتارّة، وهي الآلة الموسيقية التي اختصّها بحبّه واستأثرت بعواطفه واهتمامه، ومن مؤلفاته الممتازة للجيتارّة يبرز الفالس الشهير «نتاليا»، وهو الفالس الذي يحمل اسم ابنته الأثيرة «نتاليا» والتي تعمل حالياً

محامية في العاصمة الفنزويلية «كراكاس»، هذا الفالس الشهير يشكل إحدى المقطوعات الموسيقية الهامة في التراث الموسيقي العالمي للجيتارّة، حيث يعزفه أمهر عازفي الجيتارّة في العالم، ممّا أعطى مؤلفه شهرة عالمية، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على تأثّره بروّاد الفن الموسيقي التأثري من الفرنسيين مثل «ديبوسي ــ Debussy»، و «رافيل ــ Ravel» وغيرهما من الإسبان مثل «دي فايّا ــ De Falla».

من ناحية أخرى فإن حبه العميق للفالس جعله يدرس باهتمام الفالسات الفنزويلية التي تمثّلها بوعي موسيقي ملهم...

ومن مؤلفاته الشهيرة التي تحوز على إعجاب سامعيها من كافة أنحاء العالم مقطوعته الشهيرة:

«Seis Por Derecho Al Estilo Del Arpa Llanera».

وحب «لاورو» العميق للجيتارّة جعله يعلّق في حديث له قائلاً: «إن من يدخل عالم الجيتارّة يجد من الصعب عليه الخروج منه».

كلمة أخيرة: ممّا لا شكّ فيه أن «أنطونيو لاورو» قد أضاف لتكنيك الجيتارّة الكثير كعازف ومؤلف وهو ما يضعه في الصفوف الأولى في هذا المضمار، بحيث أصبحت مؤلفاته جزءاً لا ينفصل من برامج الحفلات الموسيقية للجيتارّة في كافة أنحاء العالم... والحق أن قدرته الفائقة كعازف للجيتارّة قد أعطته الرؤية الواضحة السليمة لما تنطوي عليه هذه الآلة المعبّرة من إمكانيات صوتية كاملة، ولذا كانت مؤلفاته إسهاماً كبيراً في

تعميق «تكنيكية» الجيتارة، وهو إسهام قام به «ليست، وشوبان، وشومان في تآليفهم الموسيقة للبيانو.

● ● ●

الطب
في فنزويلا

الطبّ في فنزويلا

خاستنتو كونفيت Jacinto Convit
الطبيب الفنزويلي العالمي ومكتشف
أول مصل فعّال مضاد لمرض الجذام

طبيبنا خاستنتو كونفيت (Jacinto convit) من مواليد كراكاس في سبتمبر ١٩١٣م، وهو متزوج ولديه ثلاثة أبناء، أحدهم اقتصادي متخصص، والآخر طبيب أمراض نفسية والثالث جراح.

من الواضح إذن أن الدكتور كونفيت يحيا حياة عائلية ترفرف عليها السعادة، وهو ما أعطاه الجو المناسب كي يجري أبحاثه وتجاربه في هذا الصراع الطويل ضد مرض الجذام، وهو مرض كريه نكبت به البشرية منذ آلاف السنين. وكأن مريض الجذام محكوماً عليه بالعزلة الطويلة عن المجتمع، لأن الجميع كان يدرك أنه مرض معدي، كما أنه من العلل التي لا برء منها ولا شفاء. والفراعنة عرفوا مرض الجذام، ويقال إن الحديث عنه مذكور على جدران المعابد الفرعونية. كل هذا إن دل على شيء إنما يدل على أن عمر المرض طويل حتى ليمكن القول بأنه وجد منذ وجد الإنسان على ظهر كوكبنا هذا.

لم يكن هناك مفر إذن من أن يعزل مريض الجذام في مستعمرة خاصة بالمجذومين كي يواجه مصيره الأليم الذي يأتي بطيئاً بعد أن يتناول أعضاء جسمه بالتشويه وحتى يفقده الإحساس. فالمعروف أن الجذام يؤثر على أعصاب الإنسان، وعليه فإن مريض الجذام لا يحس بالحروق، أي أنه يستطيع المشي وسط النار دون أن يشعر بألم ما: ذلك أن المرض يتلف أعصابه وبالتالي يفقده الإحساس. من ناحية أخرى فإن عدد المصابين بهذا المرض في العالم يصل إلى أربعة عشر مليوناً، وهو رقم مخيف يدعو إلى التألم والحزن. وتسعون في المائة من هذا الرقم الرهيب يتواجدون في قارتي آسيا وأفريقيا وبعض دول أوروبا، مثل دول البلقان وكذا إيطاليا وإسبانيا والبرتغال وروسيا وعدد كبير من دول أمريكا اللاتينية يشمل: البيرو، الإكوادور، فنزويلا، بوليفيا والأرجنيتن.

والجدير بالذكر أن الجذام يصيب بعض الحيوانات التي تعيش في أمريكا الجنوبية مثل حيوان الأرماديو (Armadillo) وهو حيوان يشبه القنفذ يصيبه مرض الجذام مثلما يصيب الإنسان، إلاَّ أن الفارق يأتي من أن المرض يقضي عليه خلال عامين على الأكثر بينما يستطيع الإنسان أن يعيش مصاباً بالمرض حوالي أربعين عاماً، وهذا يوضح أن مقاومة الإنسان أفضل. وقد بدأت محاولات في معهد باستير (Pasteur) بفرنسا بتجربة مصل مضاد لمرض السل هو (V.C.G) ضد مرض الجذام. إلاَّ أن نسبة النجاح لم تتجاوز العشرين في المائة. كان لا بد إذن من القيام بمحاولة جادة في هذا الصدد للقضاء على آلام أربعة

عشر مليوناً من البشر يعانون منه.

من هذا المنطلق بدأ الدكتور كونفيت أبحاثه التي استهلها عام ١٩٦٩م مع نخبة من صفوة الأطباء الفنزويليين وكان هو بينهم يمثل العقل المفكر والرأس الموجه، كما كان مادة البحث هذا الحيوان الذي ذكرناه سابقاً أعني حيوان الأرماديو (Armadillo) ويدعى في فنزويلا كاتشي كامو (Cachicamo)، وبعد فترة مضنية من البحث الشاق تم استخراج المصل المضاد لمرض الجذام. ومن خصائص المصل الجديد أنه يعطي الأطباء العاملين في حقل الجذام المناعة والأمن والأمان، كما أن له أيضاً أثر كبير في الشفاء من هذه العلة الوبيلة. ويجري تجربته الآن في الهند والبرازيل وهما الدولتان اللتان يوجد بهما عدد كبير من مرضى الجذام. ويذكر الدكتور كونفيت أن هناك ثلاث طرق لإعداد المصل المضاد للجذام:

أول هذه الطرق: زرع الميكروب ـ ميكروب الجذام.

ثانياً: استخدام ميكروب جذام ميت معزول من نسيج حيوان الأرماديُو (Armadillo) المصاب بهذا المرض.

ثالثاً: استخدام خليط يتشكل من ميكروب ميت للجذام مع ميكروب حي كعامل مساعد للتنشيط أو مع عوامل مساعدة أخرى.

ومع ذلك يمكن القول كما يقول الدكتور كونفيت بأن نسبة عالية من الناس لديها المناعة ضد المرض إلاَّ أنه يوجد في كل جيل مجموعة قليلة من الناس لديها الاستعداد للإصابة

بالمرض وربما يكون هذا نتيجة لعوامل وراثية.

خلاصة القول أن المصل الجديد الواقي من الجذام يشكل أملاً كبيراً للبشرية التي تعاني من هذا المرض الوبيل منذ آلاف السنين، هذا فضلاً عن العذاب النفسي الذي يعيشه المريض وذلك بسبب التشوهات التي تظهر في جسمه وتجعله شخصاً مرفوضاً من الجميع، مما يضيف إلى العذاب الذي يعانيه من المرض عذاب آخر هو الألم النفسي الذي يشعر به الشخص الذي يرفض المجتمع أن يتعامل معه خوفاً منه، لأنه مصاب بمرض معدي، وهذا ما جعل الكثيرين يتصورون أن المرض نوع من العقوبة الإلّهية ينزلها الله بالمريض عقاباً له على خطيئة ارتكبها.

والحق أن غالبية الأمراض في عصرنا هذا قد اكتشف علاجها حتى مرض السل والسرطان يبدو أن البرء منهما لم يعد أملاً بعيد المنال، وذلك باستثناء مرض الجذام الذي كان يمثل الشبح الرهيب لمن يقترب منه من الباحثين، فالباحث الذي تراوده فكرة العمل في هذا الحقل يتردد كثيراً لأنه مجال محفوف بالمخاطر، مخاطر العدوى من الداء الوبيل.

لهذا فإننا نحب أن نتوجه بتحية الإعجاب والتقدير للدكتور كونفيت ورفاقه الذين صاحبوه في هذه المعركة الطويلة التي تسلحوا فيها بالصبر والشجاعة، وكان حصادها ثمرة طيبة: هي هذا المصل الجديد الذي يمثل أملاً كبيراً لمرضى الجذام، أملاً قد يعيد البسمة المضيئة إلى الوجوه الحزينة البائسة التي

أضناها الألم والمعاناة الطويلة. وقد تم ترشيح الدكتور كونفيت لجائزة نوبل في الطب وهو ما يستأهله الطبيب النابغة بجدارة واستحقاق، وفي عام ١٩٨٧م تم منحه جائزة أمير أستورياس (Principe de Asturias).

تحية للدكتور كونفيت لإنسان والطبيب ورجل العلم والبحث الذي يعطي بتواضعه وبساطته مثلاً أعلى للطبيب في كافة العصور.

* * *

خوزيه ماريّا فارجاس José Maria Vargas
مؤسس الطب الحديث في فنزويلا

شخصيتنا من الذين أرسوا دعائم الطب الحديث في فنزويلا، وهو من مواليد لاجويرا ١٧٥٦م، وقد درس الطب في جامعة سانتا روزا حيث تخرج من الجامعة المذكورة في العشرين من عمره. وفي كومانا (Cumana) الفنزويلية بدأ ممارسة مهنة الطب، وهنا بدأ دور الخبرة في إعداده كطبيب ماهر. وفي عام ١٨١٢م بدأت تحدث تغييرات سياسية كبيرة في فنزويلا التي كانت آنذاك مستعمرة إسبانية. ويحدث زلزال عام ١٨١٢م، ويدمر العاصمة كراكاس، بل ويمحو أحياء كاملة من الوجود. وهنا يبرز الجانب الإنساني في شخصية فارجاس، حيث يقوم بإسعاف المرضى والجرحى أثناء الزلزال، هذا في الوقت الذي كان فيه الكثيرون يخشون الخروج من منازلهم خوفاً من أن يفاجئهم الزلزال في أي مكان بالعاصمة.

في عام ١٨١٣م يقرر فارجاس استكمال دراسته الطبية بالخارج، ويتجه طموحه الكبير للدراسة بجامعة إدنبره باسكتلندا. وهي الجامعة التي تتمتع فيها كلية الطب بسمعة طيبة وحتى أيامنا هذه. وهناك درس فارجاس على أشهر الأطباء العالميين وبالإضافة إلى الطب فقد درس: الكيمياء والتعدين وعلمي النبات والحيوان. ومن إدنبره ينتقل إلى لندن لزيادة خبراته الطبية. وفي مرحلة أخرى من دراسته ينتقل إلى باريس، حيث تزداد معارفه الطبية إلى الدرجة المثلى.

وعند انتهاء دراسته في أوروبا يعود ليعمل بجزيرة بورتوريكو فترة من الزمان، محاولاً أثناء ذلك زيادة خبرته الطبية. إلاَّ أنه في عام ١٨٢٥م يعود للعاصمة الفنزويلية (كراكس)، حيث يقوم بتدريس الطب بالجامعة الفنزويلية، ويهتم على الخصوص بمادة التشريح التي تعتبر عماد الجراحة، فهو مؤسس قسم التشريح والجراحة بالجامعة الفنزويلية دون منازع، حيث خرج على يديه أجيالاً من أمهر الأطباء والجراحين والفنزويليين.

صداقته مع سيمون بوليفار: في عام ١٨٢٧م، أي في الوقت الذي يعود فيه المحرر سيمون بوليفار من حملاته في تحرير أمريكا الجنوبية لوطنه فنزويلا، تملأ أسماعه شهرة الطبيب فارجاس الذي طبقت سمعته كطبيب بارع آفاق أمريكا الإسبانية. وهنا يتاح لفارجاس التعرف عن قرب على بوليفار. آنذاك كانت جامعة العاصمة في أسوأ أحوالها الاقتصادية

والأكاديمية. ويساند بوليفار صديقه فارجاس كي يُنتخب مديراً للجامعة. ويقوم فارجاس: الطبيب اللامع بتنفيذ برامجه الإصلاحية بالجامعة حيث يعطي الملونين الحق في الالتحاق بالجامعة، وهذا شيء لم يكن موجوداً من قبل، وحتى الأجانب على اختلاف عقائدهم أصبح لهم حق الدراسة بالجامعة الفنزويلية. ورافق هذا بالطبع تحسن الوضع الاقتصادي للأساتذة، مع تحسن المستوى التعليمي الذي حمل لواءه الطبيب الفنزويلي الذي تتلمذ على أشهر أساتذة الطب في جامعات إدنبره ولندن وباريس.

وكان بالطبع لهذه السمعة الطيبة لرجل رهن حياته للعلم والطب أثرها بين أفراد المجتمع الفنزويلي، الذي أحبه وأعطاه التقدير والاحترام لأمانته ونزاهته، وتعففه عن المال: فهو الطبيب الذي ملأ قلوب الفنزويليين بالأمن والطمأنينة، وهنا لا ينبغي أن ننسى دوره الإنساني أثناء الزلزال الذي دمر كراكاس، حيث كان لعنايته بالجرحى أثره الكبير في تخفيف آلام منكوبي الزلزال. استطاع الدكتور فارجاس بدماثته ونبله أن يزرع محبته في قلوب الفنزويليين على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم السياسية. لذا فإنه لم يكن غريباً أن يتم انتخابه رغماً عن إرادته رئيساً للجمهورية الفنزويلية عام ١٨٣٥م، وأثناء رئاسته للجمهورية حاول أن يطبق برنامجاً إصلاحياً يتناسب مع احتياجات فنزويلا. وهنا بدأت مؤامرات السياسيين المحترفين تحيك خيوطها ضده، حتى أسقطت حكومته في نفس العام الذي تولى فيه رئاسة الجمهورية.

كان الطبيب العظيم غريباً عن عالم السياسة. وكانت فنزويلا حديثة العهد بالاستقلال: لذا رأى فيه بعض الساسة دخيلاً على مياههم الإقليمية، ويحاول أحد أبطال الاستقلال المعروفين (وهو الجنرال بايز) إعادته لرئاسة الجمهورية. إلاَّ أن رأيه يستقر أخيراً على الاستقالة، لأنه كان مقتنعاً بأن المجال الذي يستطيع فيه تقديم خدمات أفضل لبلده: هو العلم والطب.

وفي عام ١٨٣٨م يتولى منصب مدير عام التعليم، وهو ما يعادل حالياً منصب وزير التعليم. وظل يعمل في منصبه هذا اثنتي عشر عاماً دون أن يتقاضى راتباً عن ذلك، وهذا ما يضيف إلى فضائله الكثيرة: فضيلة الزهد في المال الذي تعفف عنه طول حياته.

وأخيراً في عام ١٨٥٤م، وعند بلوغه الثامنة والستين من عمره تعاجله المنية. يموت الطبيب الكبير، والعالم الإنسان الذي أعطى بفضائله الكبيرة صورة مجسمة للقيم الإنسانية العليا في أعلى مراتبها. وكان المؤسس الحقيقي للطب في فنزويلا. تحية إعجاب وتقدير للطبيب الإنسان: وسلام على روحه الطاهرة في مثواه الأخير.

• • •

فهرس المحتويات

* * *



هذا الكتاب

لعل القارىء العزيز : قد وضحت أمامه صورة الحياة الثقافية والسياسية لفنزويلا : وذلك من خلال الصفحات القليلة التي عرضها الكتاب ٠

فالكتاب أولا وأخيرا : ليس أكثر من عرض موجز لأهم انجازات بعض الشخصيات الثقافية والسياسية لفنزويليين عالميين ساهموا في صنع التاريخ الفنزويلي٠

وحيث اني لم أستهدف من أول الأمر اعطاء التفصيلات الكثيرة ، فلعل قراءة الكتاب : تغري طائفة من القراء الذين يبتغون التعمق الرجوع لكتب الادب والفن والتاريخ ٠

فان تحقق لي اثارة هذه الرغبة فيهم : فقد نجحت في احداث الاثر المطلوب ، والوصول الى الغاية المنشودة والمهم : كما يقول بعض الحكماء القدماء ، هو : ان تشعل الضوء القليل كي يفتح الآفاق لضوء أسطع لمن يريد السير في الطريق الطويل ٠

مع تحيات

سامي عبيد